الوراقة و الوراقون في الدولة العباسية وأثرها في الحضارة الإسلامية (232-447هـ/846-1055م)

بحث مقدم للحصول على درجة التخصص العالي (الماجستير)
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

هدى فرج محمد القطعاني

إشراف:

الدكتور/حبيب مصطفى عز الدين

العام الدراسي: 2016-2017م

copyrights ©2017.no information is allowed of any part of this letter in the form of electronic or mechanical copy in the manner of photography recording or scanning without the written permission of the author or the department of graduate studies and training Benghazi university .

حقوق الطبع لعام 2017 محفوظة .لا يسمح اخذ اى معلومة من اى جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة الكترونية او ميكانيكية بطريقة التصوير او التسجيل او المسح من دون الحصول على اذن كتابى من المؤلف او ادارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازى

الوراقة والوراقون في الدولة العباسية وأثرها في الحضارة الإسلامية (447-232هـ \1055-846م)

إعداد

هدى فرج محمد القطعاني

لجنة الإشراف والمناقشة :

أ.د حبيب مصطفي عز الدين	مشرفاً	التوقيع .....
د. سليم مفتاح عبد العزيز	ممتحنا خارجياً	التوقيع .....
د. عبد الرحمن صالح بكار	ممتحناً داخلياً	التوقيع .....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الإجازة (الماجستير) في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بتاريخ 2017م

د.محمود محمد المهدي	أ.د محمد صالح ابوعمود
وكيل كلية الآداب	مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب

﴿قُلِ لَوّ كَانَ الْبَحرُ مِدَاداً لِكَلِمَتِ رَبِي لَنَفَذَ الْبَحر قَبل أَنْ تَنفذ كَلِمَتِ رَبِي وَلُو جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾

صدق الله العظيم

سورة الكهف، الآية (108)

إهداء

إلى والّدي العزيزين .

إلي روح أخي الطاهرة في أكرم جوار .

وإلي كل من شاركني في مشوار دراستي وكان له الأثر الطيب

في نجاح هذا البحث أهدي هذه الدراسة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشـــكر والتـــقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء و المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و علي آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

عرفاناً بالجميل تتقدم الباحثة بشكرها وتقديرها للدكتور حبيب مصطفي عز الدين الذي تولى الإشراف علي هذا العمل منذ أن كان فكرة إلي أن أصبح رسالة ، وثابر في تحمل ترددي عليه للاستفسار علي كل ملاحظاتي التي يدونها علي كل فقرة أكتبها ، والذي كان لإرشاده وتوجيهاته بليغ الأثر من أجل إكمال هذا الجهد .

كما اشكر الممتحنين علي تفضلهم بقبولهم الانضمام للجنة المناقشة ولهم مني جزيل الشكر والتقدير.

ويسعدني أن أقدم الشكر إلي الاستاذ الدكتور عاشور الشيخي بقسم المكتبات جامعة بنغازي علي ما قدمه لي من مساعدة ، حيث وفر لي جزء من المادة العلمية فله مني كل الاحترام والتقدير.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ للدكتور ارويعي قناوي بقسم الدراسات التاريخية بجامعة بنغازي علي ما قدمه وبذله من جهد لمساعدتي ، فحفظت لهم في نفسي خالص الاحترام و التقدير.

وأخيراً تود الباحثة أن تشكر كل من ساعدها ، ولو بكلمة تشجيع علي أنجاز هذه الدراسة والتي أرجو أن تكون إسهاماً علمياً متواضعاً يلقى علي دور الورقة والوراقين في الحضارة الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفهـــرس

	الصفحة
حقوق الطبع	أ
إجاز الرسالة	ب
الآية	ج
الاهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
الفهرس	و-ز-ح
الاختصارات المعتمدة في البحث	ط
ملخص الرسالة	ي
المقدمة	ك-ص
التمهيد **تاريخ صناعة الورق وتطورها منذ العصر الجاهلي حتي العصر العباسي الثاني**	**1-15**
1- الورِاقَة في العصر الجاهلي	1-6
2- الورِاقَة في عهد الرسول (ﷺ)	6-9
3- الورِاقَة في العصر الأموي	10-11
4- الورِاقَة في العصرين العباسي الأول والثاني	11-14
الفصل الاول **تعريف علم الورِاقَة وصناعة الورق**	
المبحث الأول: تعريف الورِاقَة	16-18
المبحث الثاني: مفهوم الورِاقَة	18-19

المبحث الثالث: صناعة الورق	28-19
الفصل الثاني **أدوات الكتابة**	
المبحث الأول: الأقلام	37-30
المبحث الثاني: المداد والمحبر	41-37
المبحث الثالث: الدواة والمحبرة	44-41
الفصل الثالث **ظهور مهنة الورِاقَة**	
المبحث الأول: رؤية الورَّاقين للوراقة وطبيعة المهنة	50-46
المبحث الثاني: حوانيت وأسواق الورِاقَة	58-51
المبحث الثالث: أشهر أعلام الورِاقَة	63-59
الفصل الرابع **إنشاء بيوت الكتب واهتمام العباسيين بها**	
المبحث الأول: الأمالي ومجالس الإملاء	71-65
المبحث الثاني: أثر الورِاقَة في نسخ إنشاء خزائن الكتب	77-72
المبحث الثالث: أثر ظهور الورق عل عملية الترجمة	87-78
الخاتمة	89-88
قائمة المصادر و المراجع	101-90
SUMMARY	102
واجهة الرسالة انجليزي	103

الاختصـــــارات المعتمـــدة فى البحـــث

المصطلح	الاختصار
– دون بلد نشر	د.ب
– دون تاريخ	د.ت
– دون ناشر	د.ن
– ترجمة	ت
– تحقيق	تح
– السنة	س
– العدد	ع
– دون عدد	د.ع
– دون سنة	د.س
– الجزء	ج
– الطبعة	ط

ملخص الرسالة

لقد تطرت الحضارة الاسلامية في سلم الحضارة كاغيرها من الأمم مرحلة بعد مرحلة وبمجئ الاسلام انتقل الأنسان العربي إلى منزله من السمو الرقي في التفكير والسلوك واصبح المسلمون رسل الحضارة الانسانية .

ومع اتساع الدولة الإسلامية في العصر العباسي أخذت لها توجيها خاصا في البناء الثقافي للأمة الإسلامية , وصار التأكد على التعليم والتدوين كأساس لتطوير الحياة الفكرية فيها . فكانت المدونات والكتب هي الوسيلة التى يمكن من خلالها معرفة وطبيعة تطور المجتمع الإسلامي فكان التدوين ضرورة لازمة للحكام والإداريين لتسجيل مراسلاتهم ومعاملاتهم .

فكان لظهور الورق واستخدامه في الأغراض الكتابية المتنوعة في الأمة الإسلامية من أهم الاحداث التي أثرت في الحضارة الإنسانية بصفة عامة والحضارة الإسلامية بصفة خاصة , حيث ساهم الورق مساهمة فعالة في نشر العلوم والمعارف والأداب وأنتقالها بين الشرق والغرب بعد أن كانت ضيقة الأنتشار بسبب مواد الكتابة وصعوبة حملها واستخدامها , وإذا أن الورق هو المادة الرئيسية لكتابة , وأحد الوسائل المهمة في نقل الأفكار والعلوم والعقائد الدينية من مجتمع إلى أخر , وأي أستعراض لتاريخ الورق لابد أن يبدأ الكتابة التى سبقت صناعة الورق بالأف السنين ,

وبعد توسع العرب في تصنيع الورق وإنتاجه بدأ استخدامه في شتي مناحي الحياة الإدارية والثقافية والأقتصادية والأجتماعية في الدولة الإسلامية حيث نشطت الحياة الثقافية فكثير فيها التأليف العلمي والأدبي وازدهرت فيها فنون التجليد والزخرفة والتهذيب , وهذا بدورة شجع على الاستمرار في تضيع الورق وتحسينه والتجارة فيه , كما كان من الطبيعي أن يصحب هذا التطور ظهور طبقة اجتماعية جديدة في المجتمع الاسلامي وهي طبقة الوراقين الذين لعبوا دورا كبيرا في أنتعاش الحياة العلمية في الدولة الإسلامية وخاصة في العصرين العباسي إذا كانت حرفة الورقة تتطلب معرفة يقتون العلوم المختلفة , كما كانت تتطلب سعة في لاطلاع على العلوم والمعارف والأداب لدا الشعوب الأخرى .

ويرجع فضل الحضارة الإسلامية على العالم بأسره في صناعة الورق بأنها أدخلت التعديلات اساسية في صناعتة وأصبح أفضل مما كان علية , وأن تطوير الورق يعد وساما على صدر الحضارة الاسلامية , وأنها المفخرة تستحق التقدير وإعجاب .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

لقد تطورت الحضارة الإسلامية في سلم الحضارة كغيرها من اللأمم مرحلة بعد مرحلة وبمجي الاسلام انتقل الإنسان العربي إلي منزلة من السمو والرقي في التفكير و السلوك ، اصبح المسلمين رُسل الحضارة الانسانية .

عندما نشر العرب الإسلام إلي الجزيرة العربية حملوا معهم بوادر النهضة في جميع مجالات الحياة الفكرية والثقافية ، فصار العلم عماد الأمة الاسلامية وقوام نهضتها ، فقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام القواعد الأولية للكتابة حيث أرسل الدعاة إلي المدن الإسلامية وبواديها لتعليم المسلمين وتطويرهم .

و مع اتساع الدولة الاسلامية في العصر العباسي أخذت لها توجها خاصة في البناء الثقافي للأمة الاسلامية ، وصار التأكيد علي التعليم والتدوين كأساس لتطور الحياة الفكرية فيها .

فكانت المدونات والكتب هي الوسيلة التي يمكن من خلالها معرفة وطبيعة تطور المجتمع الاسلامي ، فكان التدوين ضروري لازماً للحكام والإداريين لتسجيل مراسلاتهم ومعاملاتهم.

فكان لظهور الورق واستخدامه في الاغراض الكتابية المتنوعة في الامة الاسلامية من أهم الاحداث التي آثرت في الحضارة الانسانية بصفة عامة و الحضارة الاسلامية بصفة خاصة ، حيث ساهم الورق مساهمة فعالة في نشر العلوم والمعارف والآداب وانتقالها بين الشرق والغرب بعد أن كانت ضيقة الانتشار بسبب مواد الكتابة وصعوبة حملها واستخدامها , اذ أن الورق هو المادة الرئيسية

للكتابة ، وأحد الوسائل المهمة في نقل الافكار والعلوم والعقائد الدينية من مجتمع إلي أخر ، و أي استعراض لتاريخ الورق لابد أن يبدأ الكتابة التي سبقت صناعة الورق بالآلاف السنين.

وعلي الرغم من أن الشعوب القديمة عرفت صناعة الورق ، وخاصة المصريين الذين صنعوا الورق البردي و الصينيين الذين اخترعوا الورق وصنعوه إلا أن الفضل في انتشاره بشكل واسعة يرجع إلي العرب الذين أبدعوا في صناعته وألموا لأسراره بعد ما نقلوه عن الصينيين فكان لهم الفضل الكبير في دفع عجلة التطور الحضاري في الشرق والغرب علي حد سواء.

وبعد توسع العرب في تصنيع الورق وإنتاجه ، بدأ استخدامه في شتي مناحي الحياة الادارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة الاسلامية ، حيث نشطت الحياة الثقافية فكثر فيها التأليف العلمي والأدبي وازدهرت فيها فنون التجليد والزخرفة و التذهيب وهذا بدوره شجع علي الاستمرار في تصنيع الورق وتحسينه و التجارة فيه ، كما كان من الطبيعي أن يصحب هذا التطور ظهور طبقة اجتماعية جديدة في المجتمع الاسلامي وهي طبقة الوراقين الذين لعبوا دوراً كبيراً في انتعاش الحياة العلمية في الدولة الاسلامية وخاصة في العصرين العباسي الاول والثاني إذ كانت حرفة الوراقة تتطلب معرفة بفنون العلوم المختلفة ، كما كانت تتطلب سعة في الاطلاع علي العلوم والمعارف والآداب لذا الشعوب الاخرى.

ويرجع فضل الحضارة الاسلامية علي العالم بآسره في صناعة الورق بأنها أدخلت تعديلات أساسية في صناعته وأصبح أفضل مما كان عليه ، وأن تطور الورق يعد وساماً عبي صدر الحضارة الاسلامية ، وأنها لمعجزة تستحق التقدير والإعجاب.

- أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها موضوعاً لم ينل اهتماماً من قبل المهتمين بالتاريخ الحضارة الاسلامية ألا وهو : تاريخ الوراقة و الوراقين ، إذ إنهم لم يتطرقوا إليه إلا قيلاً ، بحيث لم يفرد له ما يستحق من الدراسة والبحث ، مما نتج عنه تنثر شذرات من المعلومات في كتب الحضارة الاسلامية.

وتركز هذه الدراسة علي التعمق في التاريخ الوراقة والوراقين ومعرفة الجهود التي بذلت للنهوض بالمستوى صناعة الورق والكشف عن دور الوراقين في ازدهار حركة الترجمة والتأليف .

فالوراقة لعبت دوراً مهما في تاريخ الحضارة الاسلامية ، حيث كانت بمثالة إشعاع حضاري احدث نوع من النهضة الفكرية والعلمية فلم يعد الورق محصوراً لذي طبقة معينة من الناس بل استخدم في الحياة في لف البضائع إلي جانب استخدمه في الدواوين والتأليف.

- أسباب اختيار الموضوع :

أما أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع تتمثل في عدة نقاط :

- إن موضوع الدراسة يعد من أهم الموضوعات الحضارية في التاريخ الاسلامي التي تحتاج إلي مزيد من البحث والتقصي ، وترجع أهميتها إلي الآثار التي خلفته صناعة الورق علي النواحي الثقافية والاجتماعي و الاقتصادية في العالم الإسلامي .

- إن تاريخ الورقة في مجمله لم يدرسُ بالصورة المطلوبة بعد ولم يحظ باهتمام يذكر من قبل بعض الباحثين فهو يحتاج إلي مزيد من البحث .

- رغم اهتمام بعض المؤرخين بدراسة تاريخ الوراقة إلا أنها لم تكن دراسة شاملة ، بل اقتصرت علي بعض المعلومات عند الخوض في دراسة الحضارة الاسلامية وهذا شجعني علي دراسة هذا الموضوع والخوض في جميع جوانبه المختلفة.

- رغبة شخصية في إبراز دور الوراقين في إثراء الحركة الثقافية في العالم الاسلامي ، حيث لم تتحدث عنها كتب الحضارة إلا نادراً وأنها تلق اهتماماً يذكر من جانب المؤلفين.

- إثراء المكتبة العربية والإسلامية بعمل قد يستفيد منه الباحثون مستقبلاً.

- هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء علي مراحل تطور صناعة الورق في العالم الاسلامي ، والدور الذي لعبه الوراقين في إثراء الحياة الثقافية وذلك بإنعاش حركة التأليف والتجليد والترجمة التي أدت ألى أنشاء المكتبات ودور العلم مما أدي إلى تطور العصر العباسي الأول والثاني.

- تساؤلات الدراسة :

أما تساؤلات الدراسة تتمحور أساساً حول تاريخ الوراقة والوراقين وهي كالآتي:

- متي بدأت المحاولات الأولى لصناعة الورق ؟
- ما مفهوم الوراقة ؟ و كيف تطورت في عالمنا الإسلامي ؟
- ما هي أهم أدوات الكتابة في الحضارة الإسلامية ؟
- كيف ظهرت وتطورت مهنة الوراقين ؟ وما الدور الذي لعبه هؤلاء في أثراء الحياة الفكرية والعلمية في الدولة الإسلامية ؟
- كيف تم أنشاء بيوت الكتب في العصر العباسي ، وما الدور التي لعبته تلك البيوت في دفع عجلة الحضارة الإسلامية و ازدهارها ؟

- المنهج المتبع في الدراسة :

اما المنهج الذي سأتبعه في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي السردي القائم علي جمع المادة التاريخية من مصادرها ومراجعها وتحليلها للوصول إلي نتائج تاريخية يستفيد منها كل باحث في التاريخ الإسلامي .

- الدراسات السابقة:

– يحي وهيب الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامية (بيروت ، 1994) يتناول هذا الكتاب مراحل تطور صناعة الورق ، حيث ذكر أنواع الورق وأحجامه واستفدت من هذا الكتاب عند الحديث عن صناعة الورق.

– علي إبراهيم النملة : الوراقة وأشهر إعلام الوراقين ، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض ، 1995) ، تطرق هذا الكتاب إلى مراجل تطور الوراقة في العالم الإسلامي كما سأستفيد من الوراقين وأشهر شخصياتهم ، وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثي علي أهم الوراقين في العالم الإسلامي .

– هالة شاكر عبد الرحمن : الورق والوراقون في العصر العباسي 132هـ.656هـ ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة 2004 م). يعد هذا الكتاب دراسة وافية علي حرفة الوراقة حيث تتبعت المؤلفة ظهور هذه المهنة وتطورها ثم تناولت أهم الوراقين.

– مصادر ومراجع البحث :

المصادر والمراجع التي أعتمد عليها البحث كثيرة ومتنوعة ، فمن المصادر نذكر:

1– " صبح العشبي في صناعة الإنشا" لأحمد بن علي احمد القلشندي ، إن هذا الكتاب يعتبر سجل شامل للوراقة ، وقد فصب فيه المؤلف الوراقة في كل مراحله ، وقد استفدت من جميع فصوله البحث لأنه يتحدث في كل جزء من الأجزاء التي تناولتها الدراسة.

2– كتاب " معجم البلدان " لمؤلفه شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي . " معجم الأدباء " وهو معجم شهير و ملخصاً للمادة التي كانت معروفة ، وفي عصره يتحدث عن مدخل الكتاب عن الكتاب و إنجازاتهم ، وهم أخبار النحويين واللغويين ، والقراء المشهورين ، والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين .

ولقد استفدت من هذا المؤلف في موضوع الوراقين من جانب مفهوم الوراقة و الدواه و المحبرة و أشهر اعلام الوراقين .

3- كتاب " الحيوان " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، حيث تناول الجاحظ في كتابه عن العصر الجاهلي في مرحله ، حيث ذكر أسماء ما يكتب عليه من السعف و القراء عن الوراقة و الوراقين دقيق في كتبه وكثر شهرته بالإطلاع مات بين الكتاب ولقد أفادني كثيراً في الفصل الثالث المخصص لأشهر أعلام الوراقين .

4- كتاب " الفهرست " لأبي الفرج محمد بن اسحاق بن النديم ، تحدث المؤلف عن الوراقة من العصر الأموي إلى أن وصلت شهرته في أعلام الوراقين ، ولقد استفدت منه في بعض المعلومات التي تتعلق بالبحث في جميع مراحل أو فصول البحث . ولقد استفدت منها في بعض المعلومات لإعادة الصياغة .

- البيان التفصيلي للخطة :

وقد قسمت هذه الدراسة الى مقدمة وتمهيد وأربع فصول و خاتمة و قائمة مصادر ومراجع .

- المقدمة :

تشمل المقدمة الخلفية التاريخية لموضوع الدراسة ، وأهميتها ، والهدف منها ، وأسباب اختيارها ، والمنهج المتبع ، والدراسات السابقة ، والخطة المتبعة ، والبيان التفصيلي لها .

- التمهيد :

بعنوان تاريخ صناعة الورق وتطورها منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني.

تحدث في التمهيد علي الوراقة في العصر الجاهلي ، و عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، والدولة الأموية و العصر العباسي الأول و الثاني .

- الفصل الأول : بعنوان تعريف علم الوراقة وصناعة الورق .

تناولت في هذا الفصل تعريف الوراقة ، وصناعة الورق وأشرت فيه إلى أنواع الورق و إحجامه.

- الفصل الثالث : بعنوان أدوات الكتابة .

تحدث فيه عن نعرف القلم وأنواعه ، كما تطرقت ألى المداد و المحبره و الحبر و الدواة .

– الفصل الثالث : سأتطرق فيه عن رؤية الوراقين و طبيعة مهنتهم ، كما ركزت علي الحوانيت ، و أسواق الوراقة , وكذلك تحدث عن أشهر الوراقين ، في العصرين العباسي الاول والثاني مثل : ياقوت الحموي ، الجاحظ .

– الفصل الرابع : بعنوان إنشاء بيوت الكتب واهتمام العباسيين بها .

تناولت في هذا الفصل مجالس الإملاء و الأمالي ، وأعطيت لمحة عن إنشاء خزائن الكتب و توسعها في العصر العباسي ، ثم تطرقت إلى حركة الترجمة.

- الخاتمة :

تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

- المصادر و المراجع :

سجلت المصادر والمراجع التي استعنت بها في قائمة خاصة في آخر البحث.

- صعوبات الدراسة :

أخيراً ، فإني أشير إلى الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه الدراسة ، وهي كالأتي:

- إغلاق المكتبات العامة في مدينة بنغازي نظراً لوضع البلاد الأمني الذي قيد حركتي وجعل من الصعب التنقل خلال إعداد هذه الدراسة.

- قلة المراجع و المصادر التي تتحدث عن الوراقة و الوراقين وأن معظم الكتب التي تناولت هذا الموضوع تتحدث عنه بصفة عامة ولم تعره اهمية.

ورغم ذلك كله أن التعب والبحث من مستلزمات الدراسة العلمية، والحمد لله الذي وفقني في إعدادها ، فمنه أستمد العون ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وما فيها من فضل فيعود لله وحده ، وما فيها من عيوب فإلي تنسب ، فإن صادف جهدي قبولاً ، فمن الله ، وان كان غير ذلك ، فعذري أني أتمني إلى البشر ، وسمتهم العجز ذلك أنه ﴿ **و فوق كل ذي علم عليم** ﴾.

صَدَق اللّه الْعَظِيْم

التمهيد

تاريخ صناعة الورق وتطورها منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني

1- الوِرَاقة في العصر الجاهلي.

2-الوِرَاقة في عهد الرسول (ﷺ).

3-الوِرَاقة في العصر الأموي.

4-الوِرَاقة في العصرين العباسي الأول والثاني.

1-الوِرَاقة في العصر الجاهلي:

لم تكن الكتابة مجهولة لدى العرب في العصر الجاهلي ، فقد سجلوا عقودهم ومواثيقهم ، والكتاب كانت حفراً في الصخور ونقشاً في الحجارة ، وخلقة مركبة في البنيان. كما كتبوا على قبة غمدان[1] وعلى باب القيروان[2] ، وعلى باب سمرقند، وعلى عمود مأرب، وعلى ركن المشقر[3]، وعلى الأبلق الفرد[4]، وعلى باب الرها[5] يعمدون إلى الأماكن المشهورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراها من مر بها ولا تُنسى على وجه الدهر[6].

ففي عصر البداوة كانت المواد التي يُكتب عليها مشتقة من حميم البيئة الصحراوية التي يعيش فيها العرب ، نراهم في العصر الجاهلي يكتبون على:

1- **العسب والكرانيف:** هذه كانت أكثر المواد استعمالاً في الكتابة نظراً لوفرتها وسهولة الحصول عليها في تلك البيئة الصحراوية ، والعسب جمع عسيب هو السعفة أو جريدة النخل، أما الكرانيف، فجمع كرنافة، أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة.

2- **الأكتاف والأضلاع:** هي عظام أكتاف الإبل والغنم.

3- **اللخاف:** هي الحجارة البيض الرقاق[7]. أشار إليها ابن النديم في فهرسته حيث يقول:

" العرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض، وعسب النخيل[1].

---

[1] قبة غمدان : قصر خارج صنعاء في رسم بانية = الحلوجى ، عبد الستار : المخطوط العربي ، الطبعة الأولي الدار المصرية اللبنانية (القاهرة ، 2002م) ص49.

[2] القيروان : إحدى مدن القارة الأفريقية ، تُعرف باسم كروان ، وهي مدينة تونسية على بُعد 156 كم من العاصمة تونس، كانت عاصمة قديماً قبل الانتقال إلى تونس الحالية. المعلومات من أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1986م) ج2 ، ص52.

[3] ركن المشقر: حصن كان بين نجران والبحرين.

[4]الأبلق الفرد : حصن السمو على بن عاديا اليهودي مشرف على تيماء على رابية من تراب بين الحجاز والشام .المعلومات من عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي الدار المصرية للبنانية،(2002- القاهرة) ج1ص49.

[5] باب الرها: مدينة بالجزيرة = الحلوجى: المخطوط العربي ،ص49.

[6] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1965م، ص68-69.

[7] الحلوجى: ،عبدالستار، المخطوط العربي ،االدرسات الاسلامية (عام 1998)،الدار المصرية اللبنانية- ط1(2002-القاهرة) ، ص49.

4- الرق والأديم والقضم : كلها أنواع من الجلود ، فالرق هو المبرد ما يرتق من الجلد ليُكتب فيه[2].

5- المهارق: هي صحف بيضاء من القماش فمفردها مهرق لفظ فارسي معرب[3].

ويقول الجاحظ " لا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان "[4].

فالكتابة عند أمة من الأمم توجد وتظل محصورة في فئة قليلة من الناس، تأخذ في الازدياد مع الزمن الذي قد يطول إلى عدة قرون قبل أن تشيع في الجماهير وتصبح وعاء شعبياً من أوعية الثقافة والحضارة؛ كذلك الحال بالنسبة للعرب.

وجدت الكتابة في شبه جزيرتهم قبل الإسلام ومرت بتطورات كثيرة كان آخرها التحول من الصور النبطية إلى الصورة العربية خلال القرن الخامس الميلادي، ولكنها على الرغم من ذلك كانت وقفاً على فئة قليلة من الناس، ولم تكن تستعمل إلا في أضيق الحدود، ربما لأنهم أمة أمية تعيش حياة بدوية بسيطة لا تحس فيها بحاجة إلى الكتابة في تصريف أمورها، وربما لتعذر أدوات الكتابة ووسائلها في ذلك الحين.

ولكن الشيء الذي لا شك فيه أن العرب قد عرفوا الكتابة واستعملوها في جاهليتهم بدليل ما عثر عليه المنقبون في صحرائهم من نقوش وحفريات ترجع إلى ذلك الزمن البعيد[5].

وهناك أخبار كثيرة متواترة عن قوم كانوا يعرفون الكتابة في الجاهلية، فالبلاذري يروي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي[6]، أن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب.

([1]) عبد الله، أحمد سعيد: تاريخ التدوين ومواد الكتابة أفاق الثقافة والتراث ، السنة العاشرة، العدد الأربعون (شوال 1423هـ/كانون الثاني، 2003م) ص146.

([2]) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية الأميرية، ج2، (القاهرة، 1913م) ص484.

([3]) الحلوجى : المخطوط العربي ، ص21.

([4]) الجاحظ : الحيوان ، ص70.

([5]) الحلوجى : المخطوط العربي ، ص50-52.

([6]) أبو بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي. قيل دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشرة رجلاً كلهم يكتب، منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، يكتبون القرآن ،الاعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين. https://islamaainfoislamainfo

ويروى عن الواقدي[1] أن الإسلام جاء وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون[2] وقد أحصاهم فبلغوا أحد عشر رجلاً على رأسهم سعد بن عبادة[3]، والمنذر[4] بن عمرو وأبي بن كعب[5] وزيد بن ثابت [6] [7].

وتجمع كتب السيرة النبوية على أن رسول الله (ﷺ) جعل فداء أسرى قريش في غزوة بدر أن يعلم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين والقراءة والكتابة[8] وهذا يوضح مدى حرص الإسلام ، وحرص الرسول (ﷺ) على محو أمية المسلمين خاصةً وحاجتهم إلى تسجيل كلام الله والرسالة.دكان "زيد بن ثابت" كاتب الرسول (ﷺ) أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى[9].

فالكتابة قبل الإسلام (في العصر الجاهلي) كانت منتشرة في مكة باعتبارها مركزاً تجارياً

---

[1] الواقدي، محمد بن عمر نقل الزركلي، خير الدين، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين (بيروت – لبنان، آيار/مايو 2002م) 109/8.

[2] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق ونشر د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية (د.م، 1965م) ص580-583.

[3] سعد بن عبادة بن ديم بن حارثة الخزرجي أبو ثابت (14هـ/635م) من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف، ذا معرفة بالكتابة والرمي والسباحة، وبعد وفاة النبي (ﷺ) طمع بالخلافة فلم يبايع أبا بكر، خرج إلى الشام مهاجراً فمات بحوران = الزركلي: الاعلام ، 85/3.

[4] المنذر بن عمرو (ت: 4هـ): صحابي جليل اسمه المنذر بن عمرو بن حنيس بن لوذان عمرو بن زيد الخزرجي، كان يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلاً، رسم وشهد بيعة،بيعه النبي (ﷺ) بينه كل الصحابة ، واستشهد في السنة الرابعة للهجرة نقل الزهري، محمد لابن سعد : كتاب الطبقات الكبير، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة الخانجى (القاهرة، 1421هـ/2001م) 570/3.

[5] أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج ، كان قل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، مطلعاً على الكتب، يقرأ على قلة العارفين بالكتابة، أسلم وممن كتب الوحي وشهد بدراً وأحداً والخندق، أمره عثمان بجمع القرآن، نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية مات بالمدينة (21هـ/642م) = الزركلي: الاعلام ، 82/1.

[6] زيد بن ثابت: هو كاتب الوحي، أمره النبي (ﷺ) أن يتعلم خط اليهود ليقرأ، وكان قد كلف بجمع القرآن، وتوفي في سنة خمس وأربعين من الهجرة، وبعد وفاته قيل: اليوم مات حبر الأمة = ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص362.

[7] الحلوجى: المخطوط العربي ، ص52.

[8] الزهري ، محمد بن سعد منيع : كتاب الطبقات الكبير ، الطبعة الأولى ،ج1مكتبة الخانجي(القاهرة، 2001، 14/1).

[9] عبد الرحمن ، هالة شاكر : الورق والورّاقون في العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار النشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية (1424 هـ/2004م) ، ص13.

وحضارياً وعدد الكتَّاب الذي تذكرها في مكة قليل ، وهم أقل من المدن الأخرى ، إلا أن قبيلة قريش كان لها النصيب الأوفر من هؤلاء الكتَّاب ؛ لأنهم أهل التجارة، والكتابة ضرورية للتاجر فقد نقل أنّ مَنْ كان يجيد الكتابة عند ظهور الإسلام سبعة عشر رجلاً من قريش منهم عمر بن الخطاب (ﷺ)[1]، وعلي بن أبي طالب (ﷺ)[2]، وعثمان بن عفان (ﷺ)[3]، ويزيد بن أبي سفيان (ﷺ)[4][5].

([1]) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط، يلقب بالفاروق، لقبه النبي (ﷺ) فرق الله به بين الحق والباطل = ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي : الطبقات الكبرى ، الطبعة الأولى (بيروت ، 1957–1958م) ،260/3.

كذلك نقل عن الخلفاء الراشدين، د. أمين القضاء بجامعة الأزهر، دار الفرقان للنشر والتوزيع (عمان، د.ت) ص41.

[2]) علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ابن عم الرسول (ﷺ) ، ونقل ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الخليفة الرابع ، 7/ 19 ، وكذلك عن الخلفاء الراشدين = د.امين القضاء ، ص 101.

[3]) ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، يلقب بذي النورين ، لأنه تزوج بابنتي رسول الله (ﷺ) رقية ثم أم كلثوم . عن الخلفاء الراشدين = د. أمين القضاء ، ص73؛ كذلك ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 56/3، الخليفة الثالث.

[4]) يزيد بن أبي سفيان (18هـ/639م). يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب الأموي ، أبو خالد ، أمير صحابي من رجالات بني أمية شجاعاً وحزماً ، أسلم يوم فتح مكة استعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى الشام خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين (بيروت – لبنان ، أيار /مايو 2002م) ، ص184.

([5]) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، (طبعة البيان العربي، القاهرة – مصر، 1957م) طبعة البيان العربي، مطبعة الأزهرية (مصر، 1932م) 851/3.

وذكر أن عدداً من النساء كن يكتبن، منهن الشفاء[1] بنت عبد الله العدوية ، وهي التي علمت حفصة[2] بنت عمر الكتابة ، ومنهن عائشة[3] بنت سعد التي تعلمت الكتابة من آبيها وقد عدد البلاذري سبع نساء كن يكتبن أو يعرفن القراءة[4].

أما في يثرب فكان عدد من الكاتبين معروفين في قبيلتي الأوس والخزرج ، ومنهم سعد بن عبادة ، المنذر بن عمرو، زيد بن ثابت، رافع[5] بن مالك، أسيد[6] بن حضير، معن[7] بن عدي ، بشير بن سعد ، أوس[8] بن خولي ، عبد الله[1] بن أبي بكر.

---

[1]) الشفاء بنت عبد الله العدوية القرشية ، من القلائل اللاتي عرفن القراءة والكتابة في الجاهلية ، تجيد الرقية. أقطعها النبي (ﷺ) داراً عند الدكاكين بالمدينة فنزلتها مع ابنها سليماً ، تكتب بالعربية في الوقت الذي كانت الكتابة في العرب قليلة ، وأصبحت الدار مركز علمياً للنساء. ومن بين المتعلمات السيدة حفصة زوج النبي (ﷺ) علمت نساء المسلمين أول معلمة في الإسلام = كحالة، عمر رضا: كتاب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، 300/2، 301.

[2]) حفصة بنت عمر بن الخطاب (18-45هـ/604-665م) صحابية جليلة، صالحة من أزواج النبي (ﷺ) ولدت بمكة تزوجها حنين بن حذاقة السهمي فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات فيها فخطبها النبي (ﷺ) من أبيها فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي (ﷺ) إلى أن توفت بها = الزركلي: الاعلام ، 264/2-265، رضا عمر الكحالة: اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، طبعة فريد ستدرك مؤسسة الرمال ،(بيروت- د.ت) ، 275/1.

[3]) عائشة بنت سعد بن أبي وقاص (33-117هـ/653-735م). من ثقات روايات الحديث من بني زهرة، اقامت في المدينة، ورأت ستاً من أمهات المؤمنين، وأخذ عنها عدد من العلماء = الزركلي:الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين و المستشرقين ، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين (بيروت، 1986م).

([4]) البلاذري: فتوح البلدان ، ص580.

[5]) بن مالك أبو سهل بن أبي عامر بن زريق وهو من ثقات أهل المدينة، وروى عن أبيه، أول من أسلم من الأنصار بمكة، قتل في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة = ابن سعد: الطبقات الكبري ، 573/3.

[6]) أسيد بن حضير الأوسي، صحابي جليل كان زعيماً للأوس في المدينة قبل الإسلام، وورث عن أبه مكانة، كان أحد أشرف العرب في الجاهلية، كان أبوه فارس أوس، توفي سنة (20هـ) دفن في البقيع (ﷺ) = ابن سعد: الطبقات الكبير، الطبقات الكبري ، 558/3.

[7]) معن بن عدي بن نوفل عبد مناف من قريش، رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار سنة (33 ق هـ/591م) وهو الذي أجار الرسول (ﷺ) لما أنصر عنه أهل الطائف وعاد متجهاً إلى مكة، ونزل قرب حراء فبعث إلى خلفاء قريش يجير دخول مكة فأرسل يدعو الرسول (ﷺ) فدخل مكة وطاف بالبيت = الزركلي: الاعلام ، 252/7.

[8]) أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك الأنصاري، كان الذي غسل النبي (ﷺ) علي ابن أبي طالب (ﷺ) والفضل بن العباس (ﷺ) فأدخلوا معهم رجلاً وهو أوس رجلاً شديداً يحمل الجرة من الماء بيده ، شهد غزوة بدر، ومات قبل حضر عثمان بن عثمان = ابن سعد : الطبقات الكبري ، 502/3.

الوِرَاقة في عهد الرسول (ﷺ)[2]:

حالة الكتابة في مكة المكرمة قبيل الرسالة الإسلامية:

يعطي أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت: 279هـ) وصفاً لحالة الكتابة في مكة قبيل الإسلام فيقول: "دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)[3]، طلحة وزيد ابنا أبي سفيان (رضي الله عنهما)[4]، أبو حذيفة بن عتبة بن خولي (رضي الله عنه)[5]، عبد الله بن أبي بكر وكان كامل منهم أو الكامل من يجمع إلى الكتابة الرمي والعوم".

رافع بن مالك وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير، وبعد الله بن أبيّ، وأوس بن خولي[6]، وسويد بن الصامت[7][8].

فلما ظهر الإسلام بدأت الكتابة تزدهر وتنتشر، وقد حث الإسلام على تعلم الكتابة، وذكرت الكتابة وحروفها وأدواتها في القرآن الكريم ، والحث على القراءة. قال تعالى : ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[9]، وقال تعالى : ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾[10].

---

[1]) عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، توفي بالمدينة سنة خمس وثلاثين ومائة ، وهو ابن سبعين سنة ،ليس له عقب ، وروى آخر توفي سنة ثلاثين ومائة وكان ثقة كثير الحديث عالماً = ابن سعد :الطبقات الكبرى ، 491/7.

([2]) الجبوري ، يحيى وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1994م) ، ص40، 41.

[3]) أبو عبيدة بن الجراح (40 ق هـ-18هـ/584-630م) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي فاتح الديار الشامية أحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقب أمين الأمة ، ولد بمكة من السابقين إلى الإسلام ، توفى (18هـ/639م) (58 سنة) نقل عن الزركلي: الاعلام ، 252/3.

[4]) طلحة بن أبي سفيان : لم أجد له تعريف من خلال ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع.

[5]) أبو حذيفة بن عتبة بن خولي (42ق هـ-12هـ/78-633م)، صحابي ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد بدراً واحداً والخندق ، وقتل يوم اليمامة = الزركلي: الاعلام ، 171/2.

[6]) لم أجد له تعريف من خلال ما أطلعت عليه من مصادر ومراجع.

[7]) سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الخزرجي الأنصاري ، شاعر من أهل المدينة كان يسمه قومه الكامل = الزركلي: الاعلام ، 135/3.

([8]) البلاذري: فتوح البلاد ، ص459-460.

([9]) سورة العلق، الآيات من 1-5.

([10]) سورة القلم، الآية 1.

وفي القرآن الكريم أمر بكتابة الديون ، قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**﴾[1].

وبالكتاب إذ يقول : ﴿**والطور ، وكتاب مسطور ، في رق منشور**﴾[2].

وفي أحاديث الرسول (ﷺ) حث على القراءة والكتابة ، من ذلك ما رواه ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) أن : "أو خلق الله من شيء القلم"[3]. وقوله في الحث على الكتابة : "قيدوا العلم بالكتاب"[4]. نجد رسول الله (ﷺ) يحث الناس على تعلم الكتابة والقراءة كأداة لمعرفة الدين ووسيلة لنشره وتبليغه ، وأكثر من هذا نراه يحث بعض أصحابه على أن يتعلموا لغات الأمم الأخرى ، كالذي يرويه البخاري من أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر زيد بن ثابت بأن يتعلم كتابة اليهود حتى يطمئن أنهم لن يحرفوا كتبه التي يبعث بها إليهم[5].

وفي رواية أخرى قال لزيد : " كآني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا على أن ينقصوا فتعلم السريانية " فتعلمها زيد في سبعة عشر يوماً ويضيف ابن عبد ربه : "أن زيداً كان يعرف الفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن"[6]،

كذلك يأمر عبادة بن الصامت أن يعلم الناس الكتابة[7].

لقد اتخذ الرسول (ﷺ) لنفسه عدد كتبة يكتبون الوحي ورسائله وعهوده ، منهم علي بن أبي طالب (ﷺ)، عثمان بن عفان (ﷺ)، عمر بن الخطاب (ﷺ)، أبو بكر الصديق (ﷺ)[8]، خالد بن سعد (ﷺ)[9]، حنضلة بن الربيع (ﷺ)[1]، يزيد بن سفيان (ﷺ)، أبيّ بن كعب (ﷺ)، زيد بن

([1]) سورة البقرة ، الآية 282.

([2]) سورة الطور ، الآيات من 1-3.

([3]) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان ، 1987م) 37/1.

([4]) القلقشندي: صبح الأعشى ، ص36.

([5]) الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق دكتور مفيد محمد قميحة ، مكتبة المعارف (الرياض ، 1983م) 144/2.

([6]) عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد ، ص144.

([7]) الجبوري : الخط والكتاب في الحضارة العربية ، ص42.

[8]) أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ويلقب بالصديق والعتيق، والأواه (ﷺ) = أمين ،الخلفاء الراشدين ، ص11-13؛ كذلك الطبقات الكبرى، ابن سعد ، 169/3.

[9]) خالد بن سعد (– 14هـ/ – 635م): خالد بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس صحابي من الولاة الغزاة، أسلم ورسول الله (ﷺ) يبث الدعوة للدين سراً فكان الثالث أو الرابع من الداخلين على الإسلام بعد البعثة = الزركلي: المصدر الاعلام ، 296/2.

ثابت[2].

لذلك استخدم الجلود من الكتابة ، وجاء ذكر الأخمينية وشاع استخدامها منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وتميزت بسهولة تداولها وعمرها الطويل ، وقد حفظت لنا العديد من النسخ الأولى للمصحف الكريم بعد أن سطع نور الإسلام على العالم[6].

وهناك أنواع من الجلود المستخدمة في الكتابة حسب مصدر الجلد، وطريقة صناعته يبين ابن النديم في كتابه "الفهرست" أن العرب كانت تكتب على أكتاف الإبل واللحاف، وهي الحجارة الرقاق البيض، وفي العسب عسب النخيل[7].

ومن كتَّاب الوحي في عهد الرسول عليه السلام عند تأسيس الدولة الإسلامية أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت من يكتبان الوحي ويكتبان كتبه ومراسلات الرسول (ﷺ) إلى الملوك القياصرة.

ومن كتَّاب قريش لرسول الله (ﷺ) عبد الله بن سعد بن آبي سرح وقد ارتد ورجع إلى مكة وأنزل الله تعالى في حقه : ﴿**ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً** أو **قال أوحي إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما نزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرت الموت و المليكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آيته تستكبرون**﴾[3].

فلما كان يوم فتح مكة، أمر الرسول (ﷺ) بقتله فكلمه فيه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقال أخي من الرضاع وقد أسلم فأمر الرسول (ﷺ) بتركه[4].

لم يختص الرسول (ﷺ) الرجال بالعلم والتعليم ، بل إنه كان يحرص على أن يكون حظ المرأة من ذلك موفوراً؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ".

كان عليه الصلاة والسلام يحث الرجال على أن يعلموا أهلهم وذويهم، ويحث بالدعوة

---

[1]) حنضلة بن ربيع بن صيفي التميمي، صحابي يقال له "حنضلة الكاتب" لأنه كان من كتَّاب النبي (ﷺ) هو ابن أخي أكثم بن صيفي شهد القادسية، ونزل الكوفة وقرقيسيا (بين الخابور والفرات) حتى مات في خلافة معاوية = الزركلي: الاعلام ، 286/2.

([2]) المصدر نفسه، ص42.

([6]) أحمد سعيد عبد الله : تاريخ التدوين ومواد الكتابة , ص145 .

([7]) عبدالله : تاريخ التدوين , ص 145

([3]) سورة الأنعام، الآية (93).

([4]) أبو حمدة ، محمد علي: في العبور الحضاري للمكتبة العربية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار البشير (عمان، 1990م) ، ص33.

وتعليم الناس في المدينة ، بل كان يرسل دعاته ورسله إلى الجهات النائية من شبه الجزيرة ليعلموا الناس ويوضحوا لهم الطريق إلى ربهم ويُقرِئوهم القرآن الكريم[1].

لم تكن المدارس بالمعنى المعروف اليوم موجودة قبل الإسلام ، أو في صدر الإسلام ، ويمكن اعتبار تعليم المسلمين علي أيدي أسرة قريش أول مدرسة في العصر الإسلامي ، إن صح تسميتها مدرسة ، وبطبيعة الحال فإن المقاييس التي نقيس بها " الرجل المتعلم" تختلف في ذلك العهد عمّا هي عليه الآن[2]. تفرق العلماء من الصحابة في الأمصار الإسلامية ، فقاموا فيها بحركة علمية ، والتف حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم ، وأذاعوا دعواه بين الناس ، ولم يكن جميع هؤلاء من العرب بل كان بينهم كثير من الموال الذي كانت لهم عناية في العلوم الدينية وهي القرآن ، والتفسير والحديث وروايته ، واستنباطالأحكام الفقهية ، والفتاوى الشرعية فيما جدَّ من مشكلات وما يعرض من الأحداث[3].

الوِرَاقة في العصر الأموي:

اتسعت رقعة الدولة في العصر الأموي وأصبحت دمشق عاصمة الأمويين ، وظهر في هذا العصر الترف والميل إلى البذخ و التحضر على خلاف عصر الخلفاء الراشدين الذي تميز بالبساطة والخشونة والزهد في الدنيا ، ونشطت حركة العمران ، وظهرت الكتابات على الأبنية والتحف ، وأصبحت الكتابات عنصراً زخرفياً، واعتنى بكتابة المصاحف وتزيينها وزخرفتها ، وبانتشار العرب الفاتحين انتشرت اللغة العربية في الأقاليم المفتوحة ، وصارت الكتابة بالخط العربي الذي انتشر في كل أنحاء الدولة الإسلامية، حسب رأي أن مهنة الورَّاقين ازدهرت واتسعت بسبب الفتوحات الإسلامية التي كان لها عامل قوي ومهم وذلك بسبب اندماج العرب والشعوب المفتوحة.

وقد أولى الخلفاء الأمويون الخط عناية كبيرة لحاجتهم إلى المراسلات والدواوين ، والنقود ، والكتابة على العمائر، وعلى التحف ، وكتابة المصحف الشريف ، وأن ما وصل إلينا من نماذج النقوش والمسكوكات وما كُتب على الحجر وأوراق البردي، والزجاج والنحاس، والخزف، والنسيج من

([1]) حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي– مكتبة النهضة المصرية ، ج1 (القاهرة، 1967م) ص495.

([2]) الخربوطلي، علي حسن: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م) ص243.

([3]) حسن إبراهيم: تاريخ الاعلام ، ص496.

العصر الأموي يعد ثروة نادرة[1].

ولقد كانت للدولة الأموية الفضل في وضع أسس القواعد في التعامل مع الدول المفتوحة والشعوب الغير ناطقة بالعربية حيث اهتمت بنشر اللغة العربية (لغة القرآن) والخط العربي.

كما عرفت الوِرَاقة في ذلك العصر وجود بعض من مارسوا النسخ وامتهنوه نذكر منهم على سبيل المثال خالد بن هياج[2]، ومالك بن دينار[3].

وعنهما قال ابن النديم : "أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ، ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج ، رأينا مصحفاً بخطه وكان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد ومالك بن دينار ويكنى أبا يحيى ، وكان يكتب المصاحف بأجرة ، ومات سنة ثلاثين ومائة"[4].

كما ذكر ابن قُتيبة صراحة أن مالك بن دينار عمل بالوِرَاقة فقال : كان مالك بن دينار ورَّاقاً يكتب المصاحف ، ومع بداية العصر الأموي دخلت الكتابة العربية مرحلة جديدة من مراحل تطورها، وهي مرحلة الشكل و الإعجام ، فأما الشكل فقد بدأ نقطاً على أواخر الكلمات ، ولم يلبث أن امتد إلى بعض حروفها، فقد اختلف فيمن كان أول من نقط المصاحف نقط إعراب ، فقيل أبو الأسود الدوّلي (المتوفي سنة 69هـ) وقيل نصر بن عاصم الليثي (المتوفي سنة 89هـ) وقيل يحيى بن يعمر العدواني (المتوفي سنة 129هـ)[5].

ساهم الخليفة عمر بن عبد العزيز[6] في ندرة القرطاس حيث أمر بالاقتصاد في استعمال الورقة والكتابة بخط صغير. ومن المعروف أنه حتى عهد الخلافة الراشدين لم يكن معظم العرب تعرف القراءة والكتابة وبدأ زمن تدوين تاريخ المغازي والكتابة للتاريخ العربي في العصر العباسي الأول، فكان أول من دون للمنصور محمد بن إسحاق فوضع كتاب المغازي[7].

([1]) الجبوري: الخط والكتابة في الحضارة الأسلامية ، ص79.

[2]) خالد بن هياج : كان يعمل بنسخ الكتب في عهد الوليد بن عبد الملك يعمل في بلاط الخليفة.

[3]) مالك بن دينار : كان يعمل بنسخ المصاحف مقابل أجر = هالة شاكر: الورق والورَّاقون في العصر العباسي ، ص67.

([4]) ابن النديم ، أبو الفرج محمد إسحاق: الفهرست ، دار المعارف (بيروت– لبنان، 1978م) ،ص9–10.

([5]) الحلوجى: المخطوط العربي ، ص81.

[6]) عمر بن عبد العزيز (61–101هـ/81–720م): هو عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص، الخليفة الصالح والملك العادل من ملوك الدول المروانية الأموية بالشام، ولد ونشأ بالمدينة = الزركلي: الاعلام ، 50/5.

([7]) الموسي، عصام سليمان: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث والرابع (دمشق، 2011م) ص221.

الوِرَاقة في العصر العباسي الأول:

ترسخت الكتابة في العهد العباسي وازدهرت الخطوط وتنوعت وبقي الخط الكوفي هو السائد في كتابة المصاحف والكتابة على المساجد والمآذن والقباب ، والقصور والقلاع. ثم بدأ الخط الثلث يدخل في تزيين المساجد والمحاريب والقباب ، وظل خط النسخ القديم في خدمة الدواوين الرسمية والمكاتبات اليومية والأغراض العلمية ، وذلك لمرونته وسرعة كتابته. وصار الخط في العصر العباسي ممثلاً للطابع الإسلامي ، ودليلاً على الحضارة الإسلامية وامتزج الفن بالعقيدة ، فكان التبرك بكتابة الآيات القرآنية أمراً لا يكاد يخلو من عمل فني أو مسجد أو منارة ، وفي الأقطار الإسلامية كافة[1].

كما سبق ان ذكرت أن المسلمين كانوا يكتبون علب الجلود و القراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردي, ولكن عند اكتشاف الورق وازدهاره قام الفضل بن يحي البرمكي([2]) بإنشاء مصنعاً للورق ببغداد ، حيث كان وزيراً للرشيد([3]).

وبذلك تحولت بغداد إلى مركزاً للورقة و الورق فانتعشت الكتابة وساهم اختراع الورق وسهولة استخدامه بين بغداديين بعد حصولهم علي طريقة صنعه من الصينيين في نشر الكتاب الورقي علي نطاق شاسع ، وظهرت المكتبات عند الخاصة و العامة ونشر المعرفة في العصر العباسي الأول. ([4])

الوِرَاقة في العصر العباسي الثاني:

من المعروف أن الناس قديماً كانوا يكتبون على الجدران وأوراق البردي والجلود ، ولكن عند ظهور الورق وتعلم حرفة صناعته من الصينيين حدثت نقلة غير عادية ومسبوقة في الحركة العلمية. ولم يلبث الفضل بن يحيى البرمكي أن أنشأ في عهد الرشيد مصنعاً للورق في بغداد وبذلك ساهم في نقلة حضارية وعلمية وفكرية في تدوين التاريخ في الإسلام وعند المسلمين ، وتنشيط حركة الترجمة وإنشاء المكتبات العامة والخاصة ونشر العلم والمعرفة في العصر العباسي. وقد

([1]) الجبورى: الخط والكتابة فب الحضارة العربية ، ص111.

[2]) الفضل بن يحيى البرمكي، هو أبو العباس، ولد عام 147هـ توفي بالسجن 293هـ = البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، 145.

[3]) الرشيد : هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله منصور ، ولد بالري ، استخلف عن اخاه موسى الهادي ، ولد سنة 149ه بويع له سنة 170ه توفي في 192ه =الخطيب البغدادب : تاريخ بغداد ، 14/ 5- 11.

[4])الموسي : الورق و تطور صناعته في العصر العباسي ، ص221.

ظهر أول كتاب عربي من الورق عام (707 هـ) في عهد المنصور[1] الذي أقر أيضاً إنشاء بيت الحكمة[2][3].

بذلك طما بحر التأليف و التدوير وكثر ترسيل السلاطين وصكوكه. وضاق الرق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعملية.

وبلغت الإجادة في صناعته بذلك يحدثنا الثعالبي عن كاغد سمرقند، وكيف بدأ قراطيس مصر يعني البردي والجلود التي كان يكتب الأوائل عليها لأنه أحسن وأرفق وأوفق. وينسب فضل إدخال الورق في الدواوين ووضعه بين أيدي الموظفين لاستعماله في الكتابة إلى الرشيد ووزيريه جعفر والفضل البرمكي. ويوافق على ذلك القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" حيث يذكر أن الورق كثر في عهد الرشيد وانتشرا استعماله بين الناس فأمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها ثقيل المحو والإعادة فتقبل التزوير، على عكس الورق فإنه متى ما محيى فسر، وأن كشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة عل الورق في سائر الأقطار[4].

واهتم العباسيون بالورق فأنشأوا لهذه الصناعة مصانع في عدة مدن وجلبوا لها الأساتذة والصناع من مصر التي اشتهرت بصنع الورق من نبات البردي منذ القديم واستمر استخدامها في صناعته حتى العصر العباسي الثاني وعندها حل محله الكاغد الذي انتقل من الصين إلى العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري. اشتهرت سمرقند[5] بصناعة الكاغد حتى قيل أن كواغد سمرقند عطلت قراطيس مصر، ومنها إلى سمرقند إلى بغداد ، حيث اشتهرت صناعة الورق خاصة عندما أسس الفضل بين يحيى البرمكي سنة 78هـ/794م أول مصنع الورق وانتقلت صناعة الورق إلى أوربا في أواخر العصور الوسطى عن طريق الشام، فأطلق عليها الأوربيون اسم "المصاحف

---

[1]) المنصور : بميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى عُرف بأبي الدوانيق ذلك لحرصه الشديد على الروانيق من أصغر وحدات العملة – نقل عن الثعالبي : لطائف المعارف ، ص1.

([2]) الموسمي: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي ، ص222.

[3]) بيت الحكمة : في العراق ببغداد ذكر ياقوت الحموي أن علانا الشعوبي كان وراقاً للنسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة. انظر ياقوت الحموي، 191/12.

([4]) الشكيل ، علي جمعات : صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثانية، العدد الواحد والثلاثون، رجب 1421هـ/أكتوبر – تشرين الثاني 2000م، جامعة صنعاء، اليمن، ص118.

[5]) سمرقند: بفتح أوله وثانيه يقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور أنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر جيحون وبيروت كانت مركز سياسي واشتهرت بالكاغد السمرقندي، فهو يحمل إلى سائر بلاد الشرق. نقل على هالة شاكرالوراقة والوراقون ، ص101.

الدمشقية"[1].

لم تلبث صناعة الورق أن انتقلت إلى العرب عندما أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد بجلب صناع الورق من سمرقند وأنشأ أول معمل لصناعة الورق في بغداد[2] في نهاية القرن الثاني للهجرة (93 ميلادي) وبذلك كثر الورق وفشا عمله بين الناس ولما يتميز به هذا الورق امر الرشيد "أن لا يكتب إلا في الكاغد؛ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير.

تعريف نبات صناعة الورق:

"أصل الورق من نبات القُنَّب أقصره يطول على القصب الفارسي ، ويسمى الخندريسي، وبذرة الشذائق (الشهدانق) ينبت ببلاد الشرق وبلاد الفرنجة ، فيكسر ذلك النبات ويُدق ، ويلف حبالاً جافية ، تعمل في المراكب الكبار إلى أن يذهب قوتها، فتباع وتجلب إلى معامل الورق وتصنع أوراقاً"[3].

([1]) أيوب: إبراهيم ،التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الطبعة الأولى، دار الكتب العالمية (بيروت، 1989م) ص135.

[2]) بغداد: تقع في العراق وتم بناؤها خلال الأعوام (145–149هـ) تمتاز بموقعها الجغرافي المهم لتوسطها بين نهري دجلة والفرات ، القلال :احمد ،مجلة قاريونس العلمية، 1993م، السنة السادسة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص161.

([3]) عبد الله ، سعيد : تاريخ التدوين ومواد الكتابة أفاق الثقافة والتراث ، ص147.

الفصل الاول

تعريف علم الوِرَاقة وصناعة الورق

المبحث الأول : تعريف علم الوِرَاقة.

المبحث الثاني : مفهوم الوِرَاقة.

المبحث الثالث : صناعة الورق.

تعريف الوِرَاقة:

الورق – بفتح الراء – اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحدة ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سمى الرجل الذي يكتب ورَّاقاً. وقد تبين القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِين ﴾([1]).

كذلك يسمى الكاغد بغين ودال مهملة، ويقال للصحيفة أيضاً طرس ، ويجمع على طروس، ومهرق – بطم الميم – وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة بعدها قاف. ويجمع على مهارق، وهو فارس مُعَرِّب قاله: الجوهري وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً متناسب الأطراف صبوراً على مرور الزمان وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه[2].

الوِرَاقة لغةً:

الورق: وروق الشجر والشوك، والورق من أوراق الشجر، والكتاب، والواحدة ورقة[3]. والوِرَاقة: كثير الأوراق، والشجر يرق ورقاً: ظهر ورقة، ومثله (ورق وأوراق) و(الوِرَاقة) حرف الوراق[4].

اصطلاحاً:

ظهرت الوِرَاقة مع ازدهار حركة الترجمة، وبعد وجود الورق وانتشار صناعته في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة، فلفظ "الوِرَاقة" مشتق من الورق، وأطلقت كتب الأدب العربي على الطائفة التي تولت أمر هذه الصناعة اسم الورَّاقين[5].

---

[1]) سورة الانعام : الاية 7.

([2]) القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الآنشاء ، 484/2.

([3]) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الخزرجى ، لسان العرب ،(ت 711هـ/1311م)، طبع دار المعار بيروت (لبنان، د.ت) 374/10.

([4]) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، طبع بالمكتبة العلمية الجديدة (بيروت، د.ت) ص773.

([5]) سيدة، أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوط، الدار المصرية اللبنانية، (د.ب،د.ت)147/1.

الورَّاق، بكسر أوله، كذا ضبطه العمراني جمع الورَّاق مثل برق وبراق، والورقة السمرة[1]، وأما الورَّاق، بفتح الواو، فخضرة الأرض من الحشيش، وليس من ورق: اسم موضع.

الورَّاقين: هكذا وجدته في حال الابتداء، وما أظنه إلا الذي قبله، قال ابن مقيل:

رآها فؤادي أم خشف خلالها بقور الورَّاقين السراء المضيق[2].

كذلك عرف ابن خلدون في مقدمته الوِرَاقة بأنها الانتساخ، والتصحيح، والتجليد، وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بأمصار عظيمة العمران[3].

وقد مارس مهنة الوِرَاقة إلى جانب الورَّاقين المحترفين عدد كبير من العلماء والأدباء، والمحدثين، والمفسرين، وعلماء اللغة. وقد قال السمعاني: الوراق – بفتح الواو وتشديد الراء – وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق – الكاغد – ببغداد الوراق أيضاً[4].

هناك من اشتكى من الوِرَاقة لكساد سوقها، وخلو طريقها، حتى أن أبا حيان التوحيدي قال عنها: "حرفة الشؤم" رغم اعترافه بأن سوق الوِرَاقة لم تكن ببغداد كاسدة، ولذلك نلاحظ أن الوِرَاقة كحرفة لم تكن تغري كثيراً من الناس، فلم يكن يُقبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلاباً، لذلك اعتمد كثير من الفقهاء والمحدثين على الوِرَاقة في كسب عيشهم[5].

وهناك من النساخ من زهد في الوِرَاقة؛ فكان إذا حصل على قوته لا يتجاوز كشيخ الإسكندرية تاج الدين علي بن أحمد الغراف، وهناك من كان يقول "كتبت من كتب المتكلمين ما لا يُحْصَى ولعهدي بنفس وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة"[6].

وهناك من اتخذ مهنته وسيلة لتفضيل شاعر على آخر كما فعل الموصلي الشاعر الذي قال عنه ياقوت: "اشتغل بالوِرَاقة، فكان ينسخ ديوان شعره، وكان مغرى به، وكان يدس فيما يكتبه من أحسن شعره الخالدين يزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويشيع بذلك على عدواة كانت

---

[1]) السمرة نوع من أنواع الورق = ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، الجزء 5 (بيروت، 1397هـ/1977م) 370/5.

[2] سيدة ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوط ، 147/1.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان، 1971م) ص974.

[4] السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور: الأنساب، الطبعة الأولى، تقديم عبد الله عمر (بيروت، 1166هـ/1988م) 131/5.

[5] هالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي ، ص131.

[6] عبد اللطيف البغدادي: تاريخ بغداد، ص118، 156.

بينهم[1].

كان كبار المؤلفين في عقود الإسلام الأولى وراقين يتولون نسخ مؤلفاتهم وتوزيعها، وهو ما يعادل مهمة الناشرين في العصر الحديث [2].

مفهوم الوِرَاقة:

شهد عصر دولة بني العباس (132–606هـ) تطوراً ملحوظاً في التآليف تناقلتها كتب التراث، وهذا يعني ازدهار الوِرَاقة بكثرة التآليف العلمية والدواوين مما أدَّى إلى حرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار وكثرة انتساخها وتجليدها، فجاءت صناعة الورَّاقين المعانين للاستنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين واختصت بالأمصار عظيمة العمران، وهذا التعريف من ابن خلدون يعد من التعريفات المتقدمة للوراقة، ومن التعريفات المتقدمة للوراقة أيضاً ما أورده السمعاني[3] في الأنساب من أنها اسم لمن يكتب المصاحف والكتب، وكتب الحديث وغيرها[4].

وقيل قد قال لمن يبيع الورق – وهو "الكاغد" – ببغداد الوراق أيضاً، وهناك من أطلق على الورَّاقين اسم "المُصَحّفِينَ" ذلك أن الوِرَاقة في بدايتها إنما نشأت من الاهتمام بالمصحف الشريف كتابةً ونقشاً، وانتشرت هذه التسمية حتى طغت على الورَّاقين الذين ينسخون الكتب غير المصاحف. ولذا قيل: لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القرآن عن الصحافة . ويُطلق على الورَّاقين النساخون كذلك. ومن تعريفات الوِرَاقة ما ذكره "أبو حامد محمد العربي الفاسي" بقوله: والنساخة حرفة وهي الوِرَاقة، وكل من جعل النسخ حرفة يحترفها أو شغلاً يشتغل به لنفسه فهو نساخ وراق أيضاً، وواضح من هذا التعريف التداخل بين المصطلحين النساخة والوِرَاقة، كما هو واضح قصر هذه المهنة على مجرد النسخ. بينما يختلف "ابن خلدون" عن هذا بتعميمه لمفهوم الوِرَاقة ليشمل "التعامل" مع الكتاب من جميع جوانبه حتى "ينتشر" بين الناس، فهو يُدخل مفهوم النشر في المهنة، الأمر الذي قد يكون قد فات على الذين تصدوا لتعريف الوِرَاقة من قبله ويعتبر "ابن خلدون" هو الطاغي على هذه المعالجة لمهنة الوِرَاقة.

([1]) ابن النديم: الفهرس، ص322.

([2]) ياقوت الحموي: معجم الآباء ، ص164.

[3]) السمعاني،الأنساب ، 131/5.

([4]) النملة، علي بن إبراهيم: الوِرَاقة وأشهر أعلام الورَّاقين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، 1955م) ص30.

ويذكر "فوزي شبيطة" أن واجبات الوراق تتلخص في أنه ينتخب الورق، وينسخ الكتاب، أو يُنسخ تحت إشراف، ويصحح الأخطاء، ثم يجلد الكتاب، أو يُجلد تحت إشرافه ثم يبيعه[1].

صناعة الورق:

لقد تعرف العرب على الورق الصيني، وكان التجار العرب يستوردون الورق من الصين الذي عُرف بالكاغد السمرقندي وذلك عند فتح العرب لبلاد سمرقند سنة (87هـ- 705 م). وقد استحسن العرب الكاغد أو الكاغذ لأنها عادةً خفيفة لينة سهلة الحمل والنقل، فلا تتطلب حيزاً كبيراً في المكان أو الجهد، فساهمت بمضاعفة الكتب أضعافاً مضاعفة ففضلوه على الرق والبردي وأدوات الكتابة الأخرى.

لذلك لم تذكر المصادر معلومات وافية عن كيفية صنع الورق والمواد المستعملة فيه بشكل واف، وكان الورق يُصنع من القطن ومواد نباتية أخرى، وقد يدخل في صناعته الحرير، والاختلاف في المواد الأولية الداخلة في صناعة الورق تؤدي إلى ظهور عدة أنواع منه مختلف في ثخانتها وثقلها ولونها ولينها[2].

وقد تأسس أول مصنع للورق في بغداد للورق في بغداد قبل نهاية القرن الثامن الميلادي (794م) وتركز إنتاج الكاغد في بغداد في محلة اسمها دار القز، وهي محلة كبيرة في بغداد، ثُمَّ انتشرت صناعته في جميع أصقاع العالم الإسلامي، فدخلت سوريا ومصر وشمال أفريقيا، وأسبانيا، وصقلية، وتحسنت الصناعة بسرعة تحسناً ملموساً، وأنتجت المصانع نوعاً ممتازاً من الورق صُدِرَ إلى جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك[3].

يصف القلقشندي الورق الجيد فيقول: "أحسن الورق ما كان ناصع البياض، متناسب الأطراف، صبوراً على مرور الزمن"[4].

كان ظهور نوع من الورق الرخيص الجيد بداية لعصر جديد في تاريخ الحضارة، فانتشر التعليم انتشاراً واسعاً، وكثر طلاب الكتب تبعاً لذلك، وتحسنت بطبيعة الحال صناعة الورق تبعاً لرواج تجارته، وربما كانت بغداد أول مدينة في التاريخ تأسس فيها ست وثلاثون مكتبة عامة. وكتبت أقدم مخطوطات على ورق بالعربية في القرن التاسع، وربما يكون كتاب "غريب الحديث"

([1]) النملة: الوراقة وأشهر اعلام الوراقين ، ص30، 31.

([2]) الجبورى، الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص275.

([3]) الشكيل : صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، ص119.

([4]) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، ص275/2.

المنسوخ في سنة(252 هـ-866م) أحد أقدم هذه الكتب، وهو الآن محفوظ بمكتبة جامعة ليدن، وأما أول وثائق أوربية مكتوبة على ورق فقد لذلك روجر الصقلي.

كما أُسس أول مصنع لصنع الورق في مصر من عجن الكتاب سنة(184هـ- 800م) ، وقد اشتهرت الأندلس خاصة بصنع الورق، وكان مركز صناعته في مدينة شاطبة، التي كانت تصدره إلى أوربا، وأول مصنع لورق أسس في الأندلس سنة 950م. وفي شمال أفريقية حوالي القرن الحادي عشر، وكانت معامل الأندلس خاصة تنتج جميع أنواع الورق ومنها الأبيض والملون، ولما سقطت دولة الإسلام في الأندلس انتقلت صناعة الورق من أيديهم إلى أيدي النصارى الأقل كفاءة منهم، فانحطت الصناعة، وانحط الصنف وتطوير صناعة الورق[1].

وأن الورق يعد وساماً على صدر الحضارة الإسلامية، وأنها لمفخرة تستحق الإشادة والإعجاب، ويستغرب المستشرق المؤرخ "جورج سارتون" عدم استخدام كلمة الورق في اللغات العربية تمجيداً لفضل المسلمين في نقل الورق إلى أوروبا ، وقد بعث الحجاج من فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي إلى كومبو سيلا، ثم عاد إلى بلادهم يحملون قطعاً من الورق بوصفه من العجائب ، ومع ذلك استخدم روجر الثاني "ملك صقلية" الورق في كتابته يرجع تاريخها إلى (483هـ- 109م) ولم يكن ذلك الورق من صنع بلاده ، بل من صناعة الممالك الإسلامية ومن الأندلس وصقلية انتشرت عادة استخدام الورق في أوربا[2].

كانت أوروبا قبل أن يؤسس العرب مصانع للورق في الأندلس تستورد ما يلزمه منه من الشرق العربي، على أن العرب أدخلوا في منتصف القرن الثاني عشر صناعته إلى الأندلس، حيث كانت المركز الأول لصناعته في وشاطبة[3] وطليطلة[4] وتقوم الموسوعة البريطانية في طبعتها الحادية عشر لما سقطت دول العرب في الأندلس وانتقلت صناعة الورق من أيديهم إلى النصارى من شك في أن صناعة الورق دخلت إيطاليا فتأسست سنة (675هـ-1276م) وبدأت تصبح صناعة ذات شأن بعد انحطاط الورق في الأندلس، وفي سنة(741هـ- 1340م) تأسس مصنع

([1]) مظهر، جلال: حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، دار مصر للطباعة (د.ت) ص112.

([2]) الشكيل : صناعة الورق في الحضارة الاسلامية ، ص 118، 119.

[3]) شاطبة: مدينة تقع جنوب بلنسية بالأندلس، كبيرة قديمة شرق الأندلس، عامرة زاهرة، تنمو فيها محاصيل الأرز والذرة والبقول والبرتقال، وهي من أمنع البلاد وأحصنها، لها شهر يمر من مجرى نهر شقر (جوسار) = شبكة المعلومات الدولية.

[4]) طليطلة: مدينة يحتضنها نهر تاجة من ثلاث جهات، مازالت إلى اليوم. مدينة أندلسية عريقة في القدم تقع على بعد 75 كيلومتر من مدريد عاصمة أسبانيا (الأندلس) تقع في شبه جزيرة أيبيريا مبنية على جبل عال والأشجار محدقة بها من كل جهة = القلقشندي: المصدر السابق، 227/5.

آخر، وبعد ذلك بقليل قامت صناعات أخرى في تبعتها وكانت هذه المصانع تزود ألمانيا بالورق حتى نهاية القرن الرابع عشر[1].

وصف الورق:

وصف القلقشندي الأوراق المعروفة في عهده: "الورَق بفتح الراء يسمى الكاغد، ويقال للصحيفة أيضاً طرس وهو فارسي معرب، وأحسن الورق ما كان ناصع البياض، متناسب الأطراف، صبوراً على مرور الزمان، وأغلى أجناس الورق فيما رأينا البغدادي، وهو ورق ثمين مع ليونة ورقة حاشيته، وتتناسب أجزاؤه وقطعه، ولا يكتب منه في الغالب إلى المصاحف الشريفة[2].

وقد عرفت عدة أنواع من الورق تبعاً لصناعته ونوع المواد الداخلة فيه، ذكر ابن النديم في قوله: "فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتاب، ويقال أنه حدث في أيام بني أمية، وقيل في الدولة العباسية، وقيل إنه قديم، وقيل إنه حديث، وقيل إن صناعاً من الصين عملوا بخراسان على مثال الورق الصيني. فأما أنواعه: الساماني- الطلحي – النواحي – الفرعوني – الجعفري – الطاهري. وهذه الأصناف من الورق منسوبة إلى الولاة والأمراء التي صُنعت في عندهم وأمروا بصناعتها[3].

أنواع الورق:

- **الورق الساماني:** منسوب إلى سليمان بن راشد الذي كان قائماً والياً على بيت المال بخراسان في أيام هارون الرشيد[4].
- **الورق الطلحي:** منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطاهري في خراسان، وقد حكم من سنة(207هـ-822م) إلى سنة(213هـ- 828م).
- **الورق النواحي:** منسوب إلى نوح الساماني، أحد أمراء الدولة السامية اتي حكمت في تركستان وفارس من سنة 331 إلى 343هـ (942-954م) والثاني الأمير نوح الثاني الساماني الذي حكم 366 إلى 387هـ (976-997م).
- **الورق الفرعوني :** هو ضرب آخر نافس ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مدونة في هذا الورق يرجع عهدها إلى سنة(180-200هـ، 796-810م) وبقي استعمال هذا الورق زمناً طويلاً.

([1]) جلال مظهر: حضارة الإسلام وآثرها في الترقي العالمي ، ص113.

([2]) الشكيل: صناعة الورق في الحضارة الأسامية ، ص119.

([3]) ابن النديم : الفهرست، ص21.

([4]) الجبورى: الخط والكتابة في الحضارة الأسلامية ، ص276.

- **الورق الجعفري:** نسبة إلى جعفر البرمكي الذي قُتل في نكبة البرامكة سنة(187هـ-802م).
- **الورق الطاهري:** ويُنسب إلى ظاهر الثاني من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان، وكان حكمه من سنة(230 - 248هـ)،(844- 862م).

وهناك أنواع أخرى من الورق ذكرتها الكتب، من ذلك الورق الجيهاني، والورق المأموني.

- **الورق الجيهاني:** الذي يُنسب إلى جيهان إحدى مدن خراسان.
- **الورق المأموني:** الذي يُنسب إلى الخليفة المأمون العباسي، حكم سنة(198-218هـ)، (813- 833م) [1].

ومما سبق ذكره عن أنواع الورق أو الكاغد فأنها لم تكن هي الأنواع الوحيدة التي عرفها العرب أنواعاً أخرى أكثر جودة وأحسن نوعاً منها الكاغد المنصوري الذي يُنسب لأبي الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم بن بحر الكاغدي وهو من أهل سمرقند حيث كان مشهوراً في بلاد خراسان وأن هذا النوع ذاع صيته وعملوه به في تلك الحقبة وتوفي أبو الفضل سنة ثلاث وعشرين واربعمائة بسمرقند (423هـ- 1031م).

النوع الآخر للمكاغد هو الحسين كما يذكره السمعاني، أيضاً الكاغد يُنسب إلى أبي علي الحسن بن ناصر الكاغدي[2].

وكان أشهرها على الإطلاق الورق البغدادي الذي كان أغلى أجناس الورق وأفضلها كما وصفه القلقشندي في كتابه[3].

وربما استعمل الورق وكتاب الإنشاء في المكتبات السلطانية ، ودونه في الرتبة الشامية وهو أقل من الورق البغدادي حجماً ومكانة أيضاً. يذكر القلقشندي الورق الشامي على نوعين الحموي الذي يصنع بحماء ، والشامي. والورق الحموي أفضل من الشامي وأعلى منه مرتبة فهو أكبر منه حجماً، كذلك يلي الورق البغدادي والشامي في المرتبة، الورق المصري (قطعين) نوعين القطع المنصوري وقطع العادة.

وقد كان في غالب الأمر يصقل وجهاه، وعُرف هذا النوع من الورق عند الورَّاقين بالورق المصلوح، أي ما ناله الإصلاح والتعديل، والصقل، وهو نوعين منه العال والوسط، وكان فيه صغير الحجم، خشن، غليظ، لم يكن يصلح للكتابة، لذلك فقد كان يؤخذ للف الحلويات والعطور

([1]) الجبورى: الخط الكتابة في الحضارة الأسلامية ، ص276، 277.

([2]) هالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي ، ص122.

([3]) القلقشندي: صبح الأعشى، ص476.

ونحو ذلك لدى الباعة.

ويعطينا القلقشندي وجهاً آخر لاستخدامات الورق فهو لا يستخدم فقط في المكاتبات الحكومية والديوانية، ولدى الكتَّاب والورَّاقين وطلاب العلم والحديث بل يستخدم لدى الباعة، وأن أقل أنواع الورق مكانة هو ورق أهل الغرب والفرنجة، فهو رديء جداً سريع البِلَى، قليل المُكْث؛ لذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى طلباً لطول البقاء[1].

أحجام الورق:

حجم الورق الذي يُكتب عليه ويرد الطومار[2] على أنه الورقة الكاملة وهو المعبر عنه بـ "الفرخة"، وكان الطومار يقسم عند الكتَّاب حسب الغرض المراد، وحسب قيمة من يكتب إليه. وتختلف التسميات باختلاف البلدان التي تصنعه[3] قولاً عن القلقشندي في هذا، قال الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وذلك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، وإلى الأمراء في نصف طومار، وإلى العمال والكتاب من ثلث، وإلى التجارة من ربع وإلى الحساب والمساح من سدس. فهذه مقادير لقطع الورق القديم، وهي الثلثان، والنص، والثلث، والربع، والسدس، والمراد بالطومار الورقة الكاملة وهي المعبر عنها في زماننا بـ "فرخة". والظاهر أنه أراد القطع البغدادي، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشامي ولاسيما أن بغداد إذ ذلك دار خلافة فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن.

وقد بين القلقشندي أيضاً مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية في زمانه، وهي القرن التاسع، وهي تسعة مقادير[4].

هناك أنواع للقطع تحدثت عنها بعض المصادر نذكر منها:

أنواع القطع:

- **قطع البغدادي الكامل:** عرض درجة عرض البغدادي بكماله: وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور.

([1])القلقشندي: صبح العشى ، ص476، 477.

[2]) الطومار: هو الورقة الكاملة وهو المعبر عنه بـ "الفرخة" = القلقشندي: صبح الأعشى، 180/6.

([3]) الجبورى: الخط و الكتابة في الحضارة الأسلامية ، ص278.

([4]) القلقشندي: صبح العشى ، 189/6، 190، 193.

- **قطع البغدادي الناقص:** عرض درجة عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة.
- **قطع الثلثين من الورق المصري:** المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض ثلث ذراع[1].

- **قطع النصف:** المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجة نصف ذراع.
- **قطع الثلث:** المراد به ثلث قطع المنصوري، وعرض درجة ثلث ذراع.
- **القطع المعروف بالمنصوري:** عرض تقرير ربع ذراع.
- **القطع الصغير:** ويقال فيه قطع العادة، وعرض درجة تقدير سدس ذراع.
- **القطع الشامل الكامل:** عرض درجة عرض الطومار الشامي في طوله.
- **القطع الصغير:** وهو عرض ثلاثة اصابع من الورق المعروف بورق الطير.

مقادير الورق في بلاد الشام:

كانت مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء على أربعة مقادير من الورق الشامي.

- **قطع الشامي الكامل:** وهو الذي يكون عرض الطومار الشامي الكامل في حوله.
- **عرض نصف الحموي:** عرض درجة نصف الطومار الحموي، وطوله بطول الطومار.
- **قطع العادة من الشامي:** عرض درجة سدس ذراع في طول الطومار أو دونه[2].

أماكن صناعة الورق:

صناعة الورق في سمرقند:

عندما توجه القائد العربي زياد بن صالح الذي فتح أواسط آسيا وقبض على أسرى صينيين وذلك في منتصف القرن الثامن الميلادي وهزم جيشه القوي الصينيين، تعرف العرب على الورق الصيني وتعلموا صناعته من الأسرى الصينيين وقد عملوا على إدخال صناعة الورق إلى سمرقند عام (113هـ-731م) فقد نقل عن الثعالبي[3] عن فتح سمرقند ما يأتي: "ذكر صاحب كتاب

([1]) يحيى الجبورى: الخط والكتابة ، ص278.

([2]) الجبورى: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص279.

[3]) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت: 429هـ/1038م).

"امساك والمسالك" أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح ممن اتخذ الكواغد بها".

ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فعم خيرها والارتقاء بها في الآفاق، ومن خصائص سمرقند: الكواغد التي عطلت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها. أنها أحسن وأرفق وأنعم ولا تكون إلا بها وبالصين[1].

ومما سبق ذكره يتضح أن ورق سمرقند من أجود أنواع الورق، وأن صناعته قد قضت على أدوات الكتابة الأخرى لاعتداله بين الناس مثل البردي والرق والعظام وغيرها.

والاستخدام الداخلي اصبحت مادة للتصدير من سمرقند إلى باقي الأقطار وذاع صيته وصار يتمتع بشهرة عالمية[2].

وانتشرت صناعة الورق في الأقطار الإسلامية ، فانتقلت إلى لعراق ، والشام ، ومصر، والمغرب ، والأندلس ، وبلاد فارس. وكثرة التأليف ويشير ابن خلدون في فصل "صناعة الورق " قائلاً : "كانت سجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتابة الرسائل السلطانية والاقطاعات، والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، وقلة التآليف فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغدة واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة من صناعته ما شاءت"[3].

صناعة الورق في بغداد:

تذكر المصادر أن أول من أدخل الورق إلى بغداد في القرن الثاني هو الفضل بن يحيى البرمكي (توفي سنة 193هـ)، حيث أنشأ أول معمل لصناعة الورق في بغداد، وعن كان جعفر بن يحيى الذي أعقب الفضل في الوزارة فرض استعمال الورق في دواوين الدولة[4].

ولكن القلقشندي يذكر أن الرشيد هو من أمر الناس أن يكتبوا على الورق بدلاً من الرق الذي كان من الأدوات التي استخدمت لكتابة الوحي لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. بقي الناس على تداوله إلى عهد الرشيد وبما أن الجلود سهلة المحو والإعادة فكان لا يكتب إلا على الكاغد الذي متى محي فسد إن كشط ظهر كشطه ويظهر التزوير وسرعان ما انتشرت الكتابة على

([1]) الموسمي : الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، ، ص211.

([2]) الموسمي: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي، ص211 .

([3]) ابن خلدون: ص206.

([4]) يحيى الجبورى: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص280.

الورق في سائر الأقطار[1].

وقد كثرت صناعة الورق في بغداد، وكثرت المعامل الذي يُصنع فيها ، والحوانيت التي تبيعه ، فقد ذكر ياقوت الحموي (ت: 626هـ-1228م) أن ببغداد محلة كبيرة هي "دار القز" في طرف الصحراء ، بينها وبين البلد نحو فرسخ ، وكل ما حولها قد خرب ، ولم يبق إلا أربع محال متصلة : دار القز والعتابين ، والنصرية ، والباقي قائمة ، ومنها يعمل اليوم الكاغد[2].

صناعة الورق في الشام:

عندما عرف أهل العراق والشام الورق، وتعلموا كيفية صناعته أبدعوا فيه حتى أنهم تفوقوا على الورق وأنشئت معامل خاصة في طرابلس، كان ورقها من النوع الممتاز.

وهذا ما تطرق إليه الرحالة "ناصر حرو" عند زيارته سنة (438هـ-1046م) حيث أثنى على الورق وفضله على ورق سمرقند حيث قال أبو البقاء البدري (من القرن التاسع الهجري) : "وفيها تعمل صناعة بها القرطاسي بحسن صقلها ونقي أوصاله"، وقد انتشر الورق في الشام وراجت صناعته كذلك كانت أوربا الشرقية تبتاع ورقها من بلاد الشام وعرف باسم الورق الدمشقي ، كما وعرفت مدن أخرى في الشام بصناعة الورق فيها.

صناعة الورق في مصر:

انتشرت صناعة الورق متأخرة في عدة مدن مصرية مثل: القاهرة ، و الفسطاط ، وكان أكثر صناعة وأجودها في الفسطاط وهذا على حساب كلام أو قول المقريزي (المتوفى في سنة 845هـ-1441م) على خطبه "وراقات تعمل الورق فيها " ويقول الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة[3].

وقد وصف القلقشندي الورق المصري فضلاً عن وسفه الورق العراقي والورق الشامي فقال: "دونها في الرتبة الورق المصري ، وهو أيضاً على قطعين القطع المنصوري والقطع العادة والمنصوري أكبر قطعاً ، وقلما يصقل وجهاه جميعاً، أو العادة فيه ما يصقل وجهاً يسمى في عرف

([1]) القلقشندي: صبح الأعشى، 475/2، 476.

([2]) يحيى الجبورى: الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص280- 281.

([3]) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي: الخطط كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الثاني، مكتبة الثقافة العربية، دار المعارف، 77/2-189.

الورَّاقين المصلوح ، وغيره عندهم على رتبتين عال ووسط ، والآخر بالقوي صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف ولا ينتفع به في الكتابة يتخذ للحلوى والعطر "[1].

صناعة الورق في بلاد فارس:

من المؤمل أن ينتقل صناعة الورق من سمرقند إلى بلاد فارس، فلم تزدهر صناعة الورق في بلاد فارس وانتقلت إلى العراق والشام لأن الفرس لم يهتموا بصناعة الورق إلا في فترة متأخرة وعرفت بلدة "خونج"[2] بجودة ورقها، ويقول فيها ياقوت الحموي: "أنها تسمى الآن (في أوائل القرن السابع الهجري) "كاغد كنان" أي ضاع الكاغد، وهذه البلدة على مسيرة يومين من زنجان[3].

([1]) القلقشندي: صبح الآعشى، ص476، 477.

[2]) خونج: جونا: معجم بلادنا .

([3]) يحيى الجبورى: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص283.

الفصل الثاني
أدوات الكتابة

المبحث الأول : الأقلام.

المبحث الثاني : المداد والحبر.

المبحث الثالث : الدواة والمحبرة

- **الأقلام:**

القلم من أبرز وأهم الأدوات التي استخدمها الورَّاقون في عملية النسخ والكتابة والتخطيط ، ولم يكن العرب حديثي العهد بالقلم في العصر العباسي – إذ كان القلم من أدوات الكتابة المعروفة لدى القدماء ولدى العرب في الجاهلية. وذكر القلم في القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾[1].

وقد أدرك العرب للقلم من أهمية وفائدة ، فكثرت حوله الأحاديث ، فذكره كتاب الأدباء بأحسن ما يقال[2]. فقال النويري[3]: "إن محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس".

- **تعريف القلم:**

قصبة تقطع وتقلم وتبرى ، وقد يتخذ القلم من السعف أو الغاب، وقد يستعملون ريش الطيور للكتابة ، كل ذلك يغمس في المداد ويُكتب به، وجمع القلم أقلام وقلام، جمع أقلام أقاليم.

أنشد ابن الأعرابي :

كأنني حين أيتها التخبرني وما تبين لي شيئاً بتكليـــــم

صحيفة كتبت سرَّاً إلى رجل لم يدر ما حظ فيها بالأقاليم[4].

ومنذ العصور القديمة قبل الإسلام وحتى عصر قريب ، كانت الكتابة بقلم القصب ، وحتى مع استحداث أقلام الحبر ، وريشة المعدن وغيرها ، ظل القلم القصبي صالحاً للكتابة. فالخطاطون مازالوا يخطون بالقصب أجمل خطوطهم. والقصب يصلح للكتابة على كل أداة، سواء ما كان منها

([1]) سورة القلم، الآية (1).

([2]) عبد الرحمن، هالة شاكر: الورق والورَّاقون في العصر العباسي، الطبعة الأولى (1424هـ/2004م) عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ص151 نقل عن جواد علي: الفصل، 253/8.

[3]) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب (ت: 733هـ/1331م).

([4]) الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص284.

خشناً غليظاً كالحجارة والخشب والنحاس ، أو كان ناعماً ليناً كالقرطاس و المهرق والأديم والورق ، وكانوا يكتبون به على كل شيء حتى النعال وعلى الأكف ، ففي صدر الإسلام ، رُوي أن الزهري ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة أن يفوته[1]. وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم ثلاث مرات ، مرتين بصيغة المفرد ، ومرة بصيغة الجمع.

قال تعالى مقسماً بالقلم في سورة تحمل اسم القلم ، ﴿**ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كَلِمَات الله إن الله عزيز حكيم**﴾[3].

- **الأقلام:**

قيل إن القلم سمي باسمه لاستقامته ، كما سمي القداح قبل أن تطلق أقلاماً ، وقيل مأخوذ من القم وهو شجر رخو ، كما قيل أنه سمي بذلك لتقيم رأسه أو بريه ، كما يقلم الظفر[4].

والأقلام العربية كانت تصنع من السعف أو الغاب ، أو القصب ، ولكن أشهر أنواع الأقلام هي تلك التي ابتدعها الكاتب والخطاط " قطبة المحرر" الذي قال فيه ابن النديم[5] إنه كتب الناس بالعربية، وكان كاتب المصاحف للأمين.

أما الأقلام التي ابتاعات فهي : الطومار ، الجليل ، المثلث والنصف ، وأشهر الأقلام الطومار. وقد سمي نسبة لنوع من الورق. فقال القلقشندي: فلا يكتب الطومار إلا بقم الطومار، وهو قلم مبسوط يشق ثلاث شقوق يتوزع منها المداد على الرق بسهولة ، وبعد ذلك أخذت الأقلام كلها من المبسوط والمستدير نسباً مختلفة ، وقد قيل الكثير على القلم باعتباره الأداة الوحيدة للكتابة ، ومنها قول ابن المقفع[6]: "القلم بريد القلوب ، يخبر بالخبر وينظر بالنظر، والأقلام مسطايا

([1]) البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ص107.

([2]) سورة القلم، الآيات (1، 2).

([3]) سورة لقمان، الآية (27).

([4]) القلقشندي: صلح الأعشى ، ص434.

([5]) ابن النديم : الفهرست ، ص32.

[6]) ابن المقفع، عبد الله بن المقفع (106-142هـ/724-759م) من أئمة الكتاب، أول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس ولد في العراق، سمي بالمقفع وسبب تلقبه أن الحجاج بن يوسف الثقفي عاقب أباه فضربه على يديه حتى تفقعتا (أي تورمتا) وأعوجت أصابعهما ثم شلتا = الزركلي: المصدر السابق، 140/4؛ كذلك كحالة، رضا عمر: معجم المؤلفين، دار المعارف (القاهرة، 1989م) ص85.

القطن"، وقال الجاحظ[1]: "الدواة فسهل والقلم ما تح"[2].

بذلك ينبغي على الوراق والناسخ أن يتخير القلم الذي سيكتب به، وعن أفضل أنواع الأقلام قيل: "لا تكتب بقلم ملتوٍ ولا ذي شقّ غير مستوٍ".

مما يعني أن الاستقامة والاستواء شرطان لا غنى عنهما في القلم الجيد، كما قيل: "ينبغي للكاتب أن يتخير من أنابيب الذي يتخذ منه القلم أن يكون قليل العقد أو لا عقد به، كثيف اللحم، صلب معتدل فيه استواء واستقامة، لا اعوجاج به، وعن أفضل الأقلام قال الوزير ابن مقلة: "خير الأقلام ما استحكم نضجه في جِرمِهِ، ونشف ماؤه في قشره، وقطع بعد إلقاء بذره، وبعد أن أصفَرَّ لحاؤه، ورقة شجره، وصلب شحمه، وثقل حجمه"[3].

- أنواع الأقلام:

هناك نوعية للأقلام، ونوعية للأوراق المناسبة، لذلك فالورَّاقون لم يستخدموا الأقلام والأوراق بشكل عشوائي، بل خصص لكل نوع من الورق نوع من الأقلام. من ذلك ما ذكره القلقشندي على لسان ابن الأزهري، إذْ بعث برسالة لصديق يسأله أقلاماً، فقال: "وجدنا الأقلام الصخرية أَجْرىَ في الكواغد وأمر في الجلود، كما أن البحرية منها أرساسي في القراطيس وأشد لتصرف الخط فيها[4].

ويقال إن الأقلام الجيدة هي "الشديدة المحص" الصلبة المعض، النقية الخدود، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ، فإنها أبقى على الكتاب ، وأبعد عن الجفاء ، الرقاق القصبات ، المقومات المتون ، الملس المعاقد ، الصافية القشور الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر المعتدلة القوام ، المستحكمة يبساً وهي قائمة على أصولها ، لم تعجل من أبان يَنْعِهَا، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من حصر الشتاء وعفن الأنداء[5].

---

[1]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ/869م).

([2]) ابن النديم : الفهرست ، ص32 ، نقل عن المرجع السابق ص 287.

([3])القلقشندي: صبح الاعشى ، ص 474- ص474.

([4]) النويري: تهاية الآدب ، ص21؛ كذلك القلقشندي :صبح الاعشى ، ص48؛ كذلك هالة شاكر عبد الرحمن:الورق والوراقون في العصر العباسي، ص153.

([5])عبد ربه : العقد الفريد، 4/199-200.

- **صفة القلم عند ابن مقلة:**

تحدثت المصادر وأبدعت في وصف القلم ، حيث قام ابن مقلة ببري القلم ونحته وشقه في الخط ، وجاءت أقواله في هذه الصناعة دستوراً للكاتبين. نذكر هنا بعضاً من أقواله ورسائله ، وقد حفظ القلقشندي آراء ابن مقلة في القلم[1]، من ذلك قوله : "خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه ، ونشف ماؤه في قشره ، وقطع بعد إلقاء بذره ، وبعد أن أصفرّ لحاؤه ، ورقَّ شجرة ، وصلب شحمهُ ، وثقل حجمه ".

قال ابن مقلة في طول الأقلام وغلظها : "خير الأقلام ما كان طوله في ستة عشر إصبعاً إلى اثني عشر ، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة إلى الخنصر ، وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها ".

أما في وصفه للقلم ومقداره من الطول والتقصير : "ويجب أن يكون في القلب الصلب أكثر تقعراً وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما ، وصفته أن تبتدئ بنزولك بالسكين على الاستواء ، ثم تميل إلى القطع إلى ما يلي رأس القلم ، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الإبهام أو كمناقير الحمام ". وفي نحت حواشيه ، نحت بطنه ، أما نحت حواشيه ، فيجب أن يكون متساوياً من جهتي السن معاً ، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنة ، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً بحلقة القلم ، دق أو غلظ. قال : "ويجب أن يكون جانباه منسقين ، والتنسيق أن يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله ، فيحسن جري المداد في القلم "[2].

"أما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته ، فأما الصلب الشحمة فينبغي أن ينحت وجهه فقط ، ثم يجعل مسطحاً ، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه ، وأم الرخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمه حتى ينتهي إلى الموضع الصلب من جرم القلم ، لأنك إن كتبت بشحمه لم يصف جريانه ". وقال في شق القلم : "لو كان القلم غير مشقوق ما استقرت ب ه الأنامل ، ولا اتصل الخطب للكاتب، وأكثر الاستمداد ، وعدم الشق ، لمال المداد إلى أحد جنبي القلم على قدر فتل الكاتب له "[3].

ويذكر ابن مقلة في مقدار شق القلم : "ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته ، فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه إلى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها، والمعنى فيه أنه إذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط حينئذ ، وإذا كان كذلك أمن من ذلك ،

([1]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص454، 465.

([2]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص465؛ كذلك الجبوري: الخط والكتاب في الحضارة العربية ، ص288 ،289.

([3]) القلقشندي: صبح الأعشى ، ص265.

وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه إلى آخر الفتحة ، وربما زاد على ذلك بمقدار إفراطه في الصلابة ".

وتحدث ابن مقلة أن للقلم وجهاً وصدراً وعرضاً ، فأما وجهه فحيث تصنع السكين وأنت تريد قطعه ، وهو ما يلي لحمة القلم ، وأما صدره فهو ما يلي قشرته ، وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه ". وقال : "وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمين ".

كما يذكر في عدد أقلام الدواة : "ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من خطوط وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبري للعلم الذي هو يصدر أن يحتاج إلى كتابته ليجده مهماً ، فلا يتأخر لأجل برايته ".

الخلاصة أن الأقلام المأخوذة من أعواد القصب التي تنبت بين الصخور أنسب ما يكون للكتابة بها على الكاغد ، أما تلك التي تؤخذ من أعواد القصب التي تنبت على شواطئ البحار فهي أنسب ما يكون للكتابة على القراطيس ".

وحول سمات القلم الجيد من مواد الكتابة عليها قيل أحد الأقلام ما توسطت حالته في الطول والقصر والغلظ والدقة ، فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل ، والغليظ المفرد لا تحمله الأنامل "[1].

كما قيل : إن القلم المحرف يكون الخط به أضعف وأحلى، والمستوى أقوى وأصفى، والمتوسط بينهما يجمع أحسن حالتيهما ، وما كان في رأسه طول فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة[2]، وما قصر فعلى ضد ذلك.

وذكر أيضاً : إذا كان الصحيفة لينة ينبغي أن يكون القلم لين الأنبوب وفي لحمهِ فضل ، وفي قشره صلابة وإن كانت صلبة ، كان يابس الأنبوب صلبه ، ناقص الشحم لأن حاجته إلى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته إليه في الصحيفة الصلبة فرطوتية ولحمة يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكفي الصحيفة الصلبة ما وصل إليها في القلم الصلب الخالي من المداد[3].

ووصف عبد الرحمن بن الصايغ أنواع الأقلام وصفاً تاماً ، حيث وصف كل نوع، واختصاص كل منها ، وذكر في جملة ما ذكر من الأقلام حوالي تسعة وعشرين نوعاً، سنكتفي

([1]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص484.

([2]) الصايغ ، عبد الرحمن: مخطوط صناعة الكتابة ، الرقم 14، دار الكتب والوثائق القومية ، علوم معاشية ، 12529 كذلك هالة شاكر عبد الرحمن : الورق والورَّاقون في العصر العباسي ، ص12.

([3]) القلقشندي: صبح العشى ، ص484.

بذكر أهمها وأكثرها ذكراً.

فمن هذه الأقلام القلم الرياش ، وهو قلم مأخوذ من القلم الجليل ، أعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل بن هارون[1] وزير المأمون[2]، وأمر أن يُحرر به الكتب السلطانية.

ومن الأقلام المعروفة أيضاً قلم التوقيعات ، وعنه قال ابن الصايغ أنه قلم معبر نكتب به الحجج والصكوك ، وخطه يميل إلى التقرير ومنها أيضاً القلم المحقق ، وهو قلم يكتب حروفاً غاية في الرقة . والصغر والرقاع ، وكما يذكر ابن الصايغ جمع رقعة والمراد بها الورقة التي تُكتب بها المكاتبات اللطيفة (الصغيرة) والقصص وما في معناها ، وهناك أيضاً قلم الغبار أو القلم البطايق كما يحلو للبعض تسميته، وهذا القلم جعل الكتابة على أجنحة الطيور أو على الرقعة الصغيرة فالبِطاقة بالكسر هي الرقعة الصغيرة[3].

- **مقاسات الأقلام:**

كان الكتَّاب القدماء يقدرون قياس عرض الأقلام (أي قطتها) بشعر البرذون ، وأنهم ولم يصنعوا القلم الجليل (الجلي) مقاساً لأنه أكبر أنواع الأقلام ، إذ كانوا يكتبون به على أبواب المساجد والمعابد والجدران ، وكان الكاتب به لا يكتف إلا واقفاً ، لذلك قالوا : القلم الطوماري عرض 24 شعرةً من شعر البرذون ، وقلم مختصر الطومار عرضه 18 شعرة وبين 24 شعرة أي بين قلم الطومار وثلم الثلثين، وقلم الثلث عرضه 8 شعرات ، وقلم الثلثين عرض 16 شعرة ، وقلم النصف عرضه 12 شعرة ، واتفقوا على أن طول ألفات الكتابة في كل قلم بمقدار ربع عرضه.

ولأن جمال الخط يعتمد على القلم لذلك أطلقوا اسم القلم على الخط ، فقالوا : قلم الثلث ، وقلم النسخ ، وقلم الديواني وهكذا. والقلم في اصطلاح الدواوين : قسم من أقسام الديوان ، يقال :

---

[1]) الفضل بن سهل بن هارون أبو العباس (154–202هـ/771–818م) وزير المأمون صاحب تدبيره واسلم على يده سنة 190هـ كان مجوسياً قبل أن يلي الخلافة وليها الوزارة وقيادة الجيش معاً يلقب بذي الرياستين (الحرب، السياسة) ،كذلك الزركلي: الاعلام ، 149/5.

[2]) المأمون العباسي (170–218هـ/786–833م)، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، أعاظم الملوك في السيرة وعلمه وسعه ملكه أقصى خراسان وما وراء النهر والسند، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين (198هـ) فتمم ما بدأه جده المنصور، قامت دولة الحكمة في أيامه، كان فصيحاً واسع العلم محباً للعفو، توفي في (بذندون) دفن في طرسوس ،كذلك الزركلي: الأعلام ، 142/5.

([3]) الصايغ: مخطوط صناعة الكتابة ، ص26– 9.

قلم الكتاب ، وقلم المحضرين ، وقلم المستخدمين وهكذا[1].

على أي حال، فقد وضع الكتَّاب والأدباء ، ورؤوس مدارس الخط الكبرى كعبدالحميد الكاتب[2] .[3]

وابن مقلة وابن البواب بعض الأسس لما يجب أن يكون عليه القلم من الطول أو القصر وما يجب أن يكون عليه من الغلظ والدقة ، وكيفية الإمساك بالقلم وكيفية بريه ، وفي الحث على براية القلم ، فهذه كلها أمور لا غنى عنها للوراق والناخس. وفي ذلك قيل : "إن من لم يحسن الاستمداد (أي تزويد القلم بالمداد) وبري القلم – والقَطّ وإمساك الطومار وقسمه حركة اليد حال الكتابة فليس هو من الكتَّاب في شيء ".

كما وضع الكتَّاب بعض الأسس لكيفية الكتابة ومساحة الفراغات والبياض التي يجب أن تُترك على هوامش الصفحات ، وكيفية التعامل مع الأوراق والأقلام ، وكيفية الإمساك بهما [4].

- **بري الأقلام:**

يبرى القلم برياً وأنواعه متفاوتة بين الدقة والغلظ ، وقد ذكر ابن النديم أن الأمم تختلف في بري أقلاهما فيرى العبراني في غاية التحريف ، ويرى السرياني حرفة إلى اليسار وربما إلى اليمين ، وربما قلبوا القلم على ظهره ، وربما شقوا قصبته وبروا ذلك النصف وسموا صلباً وكتبوا به. ويرى الرومي محرف إلى اليمين شديد التحريف ، لأنه يكتب به من اليسار إلى اليمين ، ويرى الفارسي أن يكون سن قلمه مشعثاً حتى يحسن به الخط. وربما كتبوا بأسفل قصبة غير مبرية ، ويسمون هذا الأنبوب (خاماً) (خامة) وأهل الصين يكتبون بالشعر (الفرشاة) ويجعلونه في رؤوس الأنابيب ، كما يعمل المصورون ، والعرب تكتب بسائر الأقلام والبرايات ، والمعمول على التحريف الأيمن والكتَّاب يقطون القلم غير محرف[5].

([1]) الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص286.

[2]) عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور، كان من رواد الكتابة في كل العلوم والفنون، وهو من أهل الشام قتل عام 132هـ مع مروان بن عد بالملك وهو القائل بتجويد الخط.

([3]) القلقشندي : صبح الأعشى ،ص 486.

([4]) الصايغ: مخطوط صناعة الكتاب ، ص16.

([5])الجبوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص287.

- **المداد:**

من الأدوات التي لم يكن للوراق غنى عنها ، والتي كانت تساعد على القيام بأبرز السهام المنوطة به (النسخ)[1]. أما المادة التي يُكتب بها فهي عديدة أهمها الحبر ويُعرف أيضاً بالمداد ، ويصنع من مواد متعددة تترك أثراً في المادة التي يُكتب عليها ، من ذلك الزاج وسخام المصابيح ، يمزج مع مادة لزجة مثل صمغ العفص أو صمغ آخر فيكتب به، ولما كان الحبر أسود قيل له "ديو" في العبرانية ، وقد عرف بهذا المعنى أي " سواد " في اليونانية وقيل للمداد " نقس " وقد وردت اللفظة في بيت شعر للشاعر حميد بن كور حيث قيل إنه قال:

من الديار بجانب الحبس كخط ذي الحاجات بالنقـــس

وأشير إلى "المداد" في شعر "عبد الله بن عمه" حيث يقول:

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما ورد في خط الدواة مرادها

وقد ذكر "المداد" في القرآن: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذَ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾[2].

يقول عز ذكره لنبيه محمد (ﷺ): "قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يُكتب به كلمات ربي لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربي"[3].

فالمداد إذن من الألفاظ التي كانت مستعملة قبل الإسلام، وقد صنع الحبر من مواد مختلفة ، صنعه العبرانيون من سخام المصابيح، أما المصريون فصنعوه من مواد متعددة، فصار أتقن من المداد العبراني ، لذلك حافظ على بريقه ولونه ، كما أنه لا يمحى بسهولة.

أما المداد فذكر علماء اللغة، أنه ما مددت به السراج من زيت ونحوه ، ثم خص بالحبر. والظاهر أنها أخذت من سخام الزيت الذي يحترق في السراج وأنها تعني " السواد ".

على نحو ما نجده في اللفظة اللاتينية التي تعني السواد، سواد السراج، وخصصت بالحبر ، الحبر المصنوع من بعض المواد المستخرجة من زيوت بعض الأشجار وعصاراتها، إما من مسحوق عظام الحيوانات المحروقة أو من بعض الأوراق المؤكسدة بالحديد ، وببعض المعادن ، ويراد بالحبر الحبر الأسود في الغلاب ، ويحفظ الحبر في أداة يقال لها " الدَّواة " و" المحبرة "

([1]) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا 472/2.

([2]) سورة الكهف ، الآية (109).

([3]) جواد ، علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثامن، الثانية (ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1413هـ/1993م) ص256/8، 257.

يحملها الكاتب.

والمداد ، وكما ذكر القلقشندي سمي بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه ، وكل شيء مددت به شيئاً فهو مداد[1].

وكان المداد يُجلب من الصين ، وكما كان يصنع من بلاد العرب إما من العفص والزاج والصمغ ، وإما من الدخان ، والنوع الأول يناسب الرق ، ويسمى الحبر المطبوخ ويتصف بالبريق واللمعان ، أما النوع الثاني فهو حبر الدخان وينسب الورق ؛ ولا يصلح للجلود والرق لأنه قليل اللبث فيها، سريع الزوال منها[2].

المداد في الأصل : كل شيء يمد به ، ثم كثر استعماله لما تمد به الدواة منقلب كل شيء غيره ، فإذا قيل مداد لم يُعرف غيره وقد سمي المداد مداداً لأنه يمد القلم ويعينه بالاستمداد ، كما سمي الزيت مداد السراج يمد به، وكل شيء يمد به الليقة مما يكتب به فهو مداد[3].

وقد كان اللون الأسود في المداد هو المفضل ، وأن السواد يظهر على بياض القرطاس بأوضح وأنصع صورة[4].

يروي القلقشندي عن أحمد بن يوسف الكاتب أن رجلاً كان يأتيهم من أيام خمارونيه (25-282هـ) بِمداد أسود فسأله أحمد من أي شيء استخرجه فقال "من دهن بذر الفجل والكتان ، تضع دهن ذلك في مسارج أوقدها ثم جعل عليها طاسا حتى إذا نفد دهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بمد الآس والصمغ العربي. ولما كان السواد دائماً هو اللون المفضل والمستحب للحبر، وقد أرجع بعض العلماء تلك الظاهرة إلى ما يوجد بين لون الحبر الأسود ولون الصحيفة من تضاد يساعد على إظهار الكتابة في أوضح صورة ممكنة والمداد الأسود بالذات أيسر بكثير من المداد الملون ؛ لأنه لم يحتج إلى ألوان أو أصبغ ، ففي القرن الأول الهجري كانوا يمدونه من الناج أو من العفص والزاج والصمغ ، وهذا يحتاج إلى جهد قليل[5].

([1]) القلقشندي: صبح الأعشى ، ص472.

([2]) الجاحظ، : التبصير بالتجارة ، ص26.

([3]) الجبوري: الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص290.

([4]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص464.

([5]) القلقشندي: صبح الأعشى ، كذلك الحلوجى: المخطوط العربي، ص41، 42.

صناعة المداد:

قد قام على صناعة المداد والأحبار من اختصوا بهذه الصناعة ، فعرف من يقوم بها بالحَبَّار، وعنه قال السمعاني : من الحبار نسبة إلى بيع الحبر وعمله ، وقد عمل بهذه المهنة بعض الناس ، منهم الشيخ أو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن السلال الحبار، وهو شيخ من يبيع الحبر والأقلام عند باب النوبي ببغداد[1].

وقد عرف الورَّاقون والكتَّاب وصناعة الأحبار طرقاً مختلفة لصناعة المداد والحبر ذكر بعضها القلقشندي، ذكرها ست (6) طرق لعمل الحبر الأسود ، في حين ذكر ثماني عشرة (18) طريقة لعمل المداد الأسود اعتماداً على بعض المخطوطات التي تناولت هذه الجزئية[2].

ولقد عرفت بعض الأحبار السوداء بأسماء بلدانها ، فكان هناك المداد العربي، الكوفي ، والرومي ، والصيني ، والهندي ، والفارسي. وذلك الأخير كان من أجود أنواع المداد ، وعنه قال ابن حوقل : ويعمل بفارس مداد أسود لذوي الكتَّاب وأصباغ التزلويق فيفضل على مداد الأرض ، كما أشاد أيضاً بالمداد الصيني ، وعن المداد الفارسي قال الأصطخري : ويعمل بفارس مداد أسود للدواة والصيغ يفضل على غيره.

على أية حال ، فقد لوحظ على صناعة المداد الأسود أن المواد التي كانت تدخل في صناعته كانت في معظم الأحوال من الزاج والعفص [3] ،[4].

وهناك أنواع من المداد الأحمر، والحبر الأحمر، وأشهر المواد التي دخلت في صناعة المداد الأحمر كانت الزنجفر والسيلقون والزعفران، وبرادة النحاس وعروق الصباغين، كذلك عرفت أنواع من المداد والحبر ذات ألوان خضراء وزرقاء وفضية ورصاصية، وكانت تستخدم في رسم المنار، ولكنها استخدمت في بعض الأحيان كالحبار والكتابة[5].

وصناعة المداد الأسود أيسر من صناعة الحبر الملون، الذي يحتاج إلى مواد كيماوية لم تكن متوافرة أو متيسرة لديهم في الزمن الأول، وقد بالغ بعض الكتَّاب في الغاية بأدوات الكتابة

([1]) السمعاني: الأنساب ، 162/2.

([2]) القلقشندي : الصبح الأعشى ، ص503.

([3]) هالة شاكر : الورق و الوراقون في العصر العباسي ، ص160.

[4]) العفص: كرات ورق يشبه البلوط معروف عند العرب والفرس تستخدم في صناعة المداد = يحيى وهيب الجبوري،الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص291.

[5]) أبا محمد الفياض : كان من كتاب سيف الدولة وكان يعجن مداده بالمسك ويليق دوائه بماء الورد = الجبوري، الخط والكتاب في الحضارة العربية ، ص292.

والمداد الخاصة، فكانوا يضيفون إليه العطور. فقد روي أن أبا محمد الفياض، كاتب سيف الدولة ، كان يعجن مداداً بالمسك ، ويليق دواته بماء الورد ، وكان بعض الكتَّاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من الطيب ، فسئل عن ذلك فقال : لأني اكتب بها اسم الله تعالى واسم رسوله (ﷺ) واسم أمير المؤمنين ، وربما سبق القلم بغير إرادتنا نفحة بألسنتنا وقال بعضهم:

ربع الكتابة في سواد مدادها

والربع حسن صناعة الكتاب

والربع من قلم سوي بريهُ

وعلى الكواغد رابع الأسباب[1].

الدواة والمحبرة:

أما الدواة ، أو المحبرة فهما بمعنى واحد ، وهي الآنية التي يوضع فيها الحبر، وقد فرق القلقشندي بين الدواة والمحبرة ، فجعل الأولى أعم من الثانية[2].

كذلك الدواة الآنية التي يجعل فيها الحبر، من خزف كان أو من قوارير، فالدواة هي المحبرة ، وقد يفرق بينهما ، والقلقشندي يجعل الدواة أعم من المحبرة بمحتوياتها الثلاثة: الجونة ، والليقة والمداد آلة من الآلات التي تشتمل عليها الدواة.

أ- الجونة:

هي الظرف الذي فيه الليفة والحبر، وقد تنبه العرب إلى أن الشكل المربع يتكألف المداد في زوايا فيفسد، ولذلك فقد أوصوا باتخاذ أشكال مستديرة.

ب- الليفة:

الصوفة في الدواة ، وتسميها اعرب الكرسف ، تسمية لها باسم القطن الذي يتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون الليفة من الصوف والحرير والقطن، والأولى أن تكون من الحرير الخشن، لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة.

([1]) القلقشندي: صبح الأعشى ، ص458.

([2]) جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص258. انظر ص41.

ومن الآلات التي تشتمل عليها الدواة:

- الملواق: الذي تلاق به الدواة أي تحرك به الليفة.
- المسقاة: التي يصب منها الماء في المحبرة[1].

أما جواد علي فيعرفها بقوله : أن المحبرة الكبيرة التي يحفظ الحبر فيها والأقلام والمقطة ومواد الكتابة الأخرى بـ "قلمارين" "قلماريون" (ق ل م ر ي ن) أي المقلمة في العربية تمييزاً لها عن أداة أخرى عرفت "ترنتوق"، وهي مقلمة توضع فيها الأقلام والمحبرة.

وقد أشير إلى الدولة ، أي المحابر في بيت شعر لأبي ذويب الهذلي:

عرفت الديار كرقم الدوا يزبره الكاتب الحميري

وذكر أن من أسماء المحبرة (ن) وأن (ن والقلم) بمعنى الدواة والقلم.

وقد كان من عادة الكتَّاب ترميل الكتابة لتجف ، وكانوا يضعون الرمل في إناء خاص ، ثم يزون منه شيئاً على الكتابة[2]. وقد أحبوا أن تكون متوسطة في قدرها نصفاً في قدها ، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها ، ولا بالكبير فيثقل حملها ، لأن الكاتب ولو كان وزيراً له مائة غلام مرسومون يحمل دواته مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه ، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره ، ولا يتحملها عنه سواء، وأن يكون عليها من الحلية أخف ما يتهيأ أن يتحلى الدوي به من وثاقة ولطف صنعة ؛ ليأمن أن تنكسر أو تنفصم منها عروة في مجلس رياسة أو مقام محنة[3].

وأن تكون الحلية ساذجة لا حفر ولا ثنيات فتحمل القذي والدنس ولا نقش عليها ولا صورة ، لأن ذلك من زي أهل التواضع ، لاسيما في أنه يستعان بها على مثل هذه الصناعة الجليلة المسؤولية على تدبير المملكة ، وأن أخرقت الفضة حتى يكون سوادها أكثر من بياضها ، فإن ذلك أحسن وأبلغ في السرور ، وأشبه بقدر من لا يكترث بالذهب والفضة[4].

تلك هي الأدوات التي استعملها العرب في الكتابة منذ بدأوا يكتبون في العصر الجاهلي إلى أن استوت كتاباتهم في شكلها النهائي الذي احتفظت به على مر السنين والأيام ، ولعل السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو ما كان المخطوط بين هذه المواد جميعاً ، وكل ما سبق أن مرحلة

([1]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص458، 459.

([2]) جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص258.

([3]) القلقشندي: صبح الأعشى، 432/2؛ كذلك الجبورى: المرجع السابق، ص294.

([4]) الجبوري: الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص294.

الكتابة على العسب والأكتاف والأضلاع والرحال والأقتاب سواء بآلات حادة أو بمادة طباشيرية أو فحمة.

فالقرآن الكريم جُمع من العسب والأكتاف والأضلاع، ولكنه كُتب على الرق واتخذ شكل مصحف اشتقاقاً من " المصحف " ثم لم يلبث المخطوط العربي أن وجد في أوراق البردي المصرية مادة طبيعية له ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر وانتشار هذه المادة من مواد الكتابة في دنيا العرب ، ولكن الكتابة على البردي لم تضع نهاية عهد الكتابة على الرق، وإنما ظلت المادتان تلتقيان الكتابة جنباً إلى جنب، وكان لكل منهما استعمالاته فالرق أبقى دواراً ، ولكنه أندر وجوداً وأغلى ثمناً ، وأكثر تعرضاً للتحريف والتبديل في النص المكتوب ، والبردي أقل احتمالاً لعوامل البلي ، ولكنه أيسر تناولاً وأضمن لبقاء النص المكتوب عليه بغير تحريف أو تبديل، لأنه لا يحتمل الكشط دون أن يتمزق أو على الأقل تظهر آثار واضحة فيه. لذلك ظل المخطوط العربي محدوداً بهاتين المادتين خلال القرن الأول ونصف القرن الثاني من قرون الإسلام ، ثم حدث أعظم تطور في تاريخ المخطوط العربي وهو الانتقال من عصر البردي والرقوق إلى عصر الورق ، بعد أن أتيح للعرب أن يتصلوا بغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى سواء بطريق التجارة أو بطريق الفتح ، وبعد أن عرفوا الورق من خارج بلادهم أول الأمر ، ثم مصنوعاً من مراكز الحضارة الإسلامية بعد ذلك بقليل على هذه المواد الثلاث.

إذن كتب العرب مخطوطاتهم بالمداد والأقلام القصبية ، وكانت المحابر من أهم عتاد طلبة العلم[1].

- **كيفية الاستمداد من الدواة:**

لم يترك القدماء ناحية من نواحي الكتابة إلا أشبعوها بحثاً ودرساً وتفكيراً ، حتى أنهم ذكروا الأصول الصحيحة التي يتبعها الكاتب في وضع القلم في الدواة لإمداده بالحبر، قالوا: "أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة "، وقد قال المقر العلائي : "من لم يحسن الاستمداد وبري القلم فليس من الكتابة في شيء ".

وقال المقر العلائي: "ينبغي للكاتب ألا يُكثر الاستمداد بل يمد مداً معتدلاً ، ولا يحرك الليفة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتَّاب ، ولا يرد القلم إلى الليفة حتى

([1])الحلوجى: المخطوط العربي ، ص43، 44.

يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة كثيراً ، بل إلى حرشفة ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ليأمن تسديد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكتَّاب ". وأما وضع القلم على المدرج ، فقال ابن مقلة : "ويجب أن يكون أول ما يوضع على الدرج موضع القطة منكياً"[1].

وقد ذكر بعض الشعراء الحبر ولونه وعطره ، فمن ذلك قول ابن الرومي[2]:

حبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دهم الخيـــل

وقال آخر:

إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

وقال آخر:

لا تجز عن من المداد فإنه عطر الرجال وحلبة الكتَّاب[3].

([1]) القلقشندي: صبح العشى ، 38/3.

[2]) ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريج أو جورجيس (221–283هـ/836–896م)، ورمي الأصل، ولد ونشأ في بغداد ومات فيها مسوماً له ديوان شعر، كذلك الزركلي: الاعلام ، 297/4.

([3]) الجبوري: الخط و الكتابة في الحضارة العربية ، ص295.

الفصل الثالث

ظهور مهنة الورِاَقة

المبحث الأول : رؤية الورَّاقين للورِاَقة وطبيعة المهنة

المبحث الثاني : حوانيت وأسواق الورِاَقة.

المبحث الثالث : أشهر أعلام الورِاَقة.

المبحث الأول

رؤية الورَّاقين للورِاَقة وطبيعة المهنة

في إطار تناولنا للورِاَقة كمهنة نتساءل كيف كان الورَّاقون يرون الورِاَقة ، وبأي منظور كانوا ينظرون إليها ويمارسونها ,ان هناك بعض المصادر التي ستعيننا على الإجابة على هذا. ومن ذلك ما ذكره الثعالبي[1]. [2] عن الأعسر الوراق إذ قال : "تطير الأعسر الوراق من الورِاَقة فقال فالألف (ما) خلق الله أشقى من الوراق ولا أشأم من االورِاَقة ، فالألف آفة والباء بخس ، والتاء تعس، والثاء ثلم، والجيم حجر، والحارء حرقة ، والخاء خوف، والدال دواء ، والذال ذل، والصاد صد ، والضاد ضروا، والطاء طر، والظاء ظلم ، العين عيب ، الغين غم ، والكاف كفر ، والفاء فقر ، والقاف قبر ، واللام لوم ، والميم مرق ، والنون نوح ، والواو ويل ، والهاء هوان ، والياء يأس ، والنص أوضح يعكس لنا كيف ضاق الأعسر الوراق من الورِاَقة حتى أنه يرى الوراق أشقى الناس ، ويرى الورِاَقة وقد جلست الشؤم حتى أنه ليرى حروف النسخ وقد جلب عليه كل حرف منها الصعاب والآلام و المشاق ، إذ كان الوراق يرى الورِاَقة بهذه النظرة المأساوية ، فإن هذا يخالف الكاتب على رغم اشتراك الكاتب والوراق في الكثير من الأسس والمهام ، إلا أن هناك فرقاً بينهم[3].

ومما قاله أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب إذ قال ممتدحاً حروف الهجاء والنسخ الألف آمن ، والباء بهجة ، والتاء توبة، والثاء ثروة ، والجيم جمال ، والحاء حلاوة، والخاء خير، والدال دواء، والذال ذكر، والراء راحة، والزاي زيادة، والسين سرور، والشين شفاء، والصاد صلاح ، والضاد ضياء ، والطاء طبيب ، والظاء ظل ، والعين عز ، والغين غنى، والفاء فرج، والقاف قدرة ، والكاف كفاية ، واللام لذة ، والميم ملك ، والنون نعمة ، والواو وقاية ، والهاء هداية ، والياء يُسر[4].

([1]) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، خاصّ الخاصّ ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة (مصر، 1326هـ/1809م) ، ص56.

[2]) أبو منصور عبد الملك بن محمد الذي يُعرف بالثعالبي النيسابوري ، أديب عربي فصيح ، عاش في نيسابور وضلع في النحو والأدب ولُقب بالثعالبي ، والده كان فرَّاء بخيط الجلود ، توفي سنة ثلاثين وأربع مائة ، وقيل سنة تسع وعشرين = الاقتباس من القرآن الكريم لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق ابتسام مرهون الصفار، جامعة بغداد، دار الوفاء للطباعة، المنصورة (350-429هـ).

([3])الثعالبي : خاص الخاص ، ص59.

([4]) الثعالبي : خاص الخاص ، 510/4.

فهناك اختلاف بيّن وواضح ما بين نظرة كل من الوراق والكاتب للنسخ والورِاَقة فهي عند الوراق شقاء وتعاسة وشؤم وهي عند الكاتب سعادة وخير وبهجة ، وهذا مما يدفع بنا إلى التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء هذه الرؤية المختلفة للورِاَقة ، فما هي حقيقة الأسباب الكامنة وراء هذا الاختلاف ، فلم ينظر الوراق للنسخ والورِاَقة نظرة تشاؤم ، ولم ينظر إليها الكاتب نظرة تفاؤل ، وهذا أمر سنعر حقيقته فيما هو لاحقاً . وعودة إلى نظرة الوراق للورِاَقة نقول إن أبا حاتم الوراق النيسابوري الذي مارس الورِاَقة لمدة خمسين عاماً بنيسابور كان له رؤية خاصة جداً في الورِاَقة عبر عنها بقوله:

إن الورِاَقة حرفة مذمومـــــــــة ∴ محرومة عيش بها زمن

إن عشت عشت وليس لي أكلٌ ∴ أو مت مت وليس كفن.[1]

ويتضح من النص يذم الورِاَقة وما جلبته عليه من الفقر والفاقة ، والحاجة فعمله بالورِاَقة – كما يبدو لم يوفر له العيش الكريم ولم يضمن له المت مستوراً ، حتى أنه وصفها بالمرض الذي لا شفاء منه ، وسئل وراق عن حاله فقال : عيش أضيق من محبرة ، وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أرق من الزجاج ، ووجهي أشد من سواد الزاج ، وحظي أخفى من شق القلم ، ويدي أضعف من القصب ، وطعامي أمرّ من العفص ، وسوء الحال ألصق بي من الصمغ.

ما ذكره هذا الوراق ينم عن فقر وشقاء وحاجة وفاقة ، وسوء حال لا مثيل له ، فعلى ما يبدو أن الورِاَقة لم تضمن له عيشة كريمة راضية. وعن النسخ والورِاَقة حكى ابن الخاضبة[2] فقال " لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماش وكتبي ، ولم يكن بين شيء، وكان عندي الوالدة والزوجة والبنات ، فكنت أنسخ وأنفق عليهن فلما كان لية من الليالي، رأيت كأن القيامة قامت ومُنادٍ ينادي : أين ابن الخاضبة ؟ فأحضرت فقيل لي ادخل الجنة، فلما دخلت الباب وصرت من داخل استلقيت على قفاي ، ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت استرحت والله من النسخ[3].

ويعكس لنا هذا الحلم الذي رآه ابن الخاضبة أن الورِاَقة كانت من المهن الشاقة الصعبة التي تحتاج إلى مجهود ومقدرة جسدية وعقلية ، فها هو ابن الخاضبة جاءته الآخرة في منامه لتريحه من مشاق النسخ ومتاعبه.

---

[1]) الثعالبي : خاص الخاص ، ص 54 .

[2]) ابن الخاضبة هو أبو بكر بن محمد البغدادي، المعروف بابن الدقاق ، قرأ الكثير وحدث ، كان علامة في الأدب وذا قدرة في الحديث ، توفي 489هـ.

([3]) الثعالبي: خاص الخاص ، ص54، 55.

وقد عبر القلقشندي[1] عن هذه الرؤية في إطار تناوله للمحبرة فقال : "إنها آلة النسخ الذي هو أشد الحرف وأتعبها وأقلها مكسباً " كما روي أن أحد رجال الحديث رأى في يد رجل محبرة فقال له : ارم بها فإنها مشؤومة لا يبقى معها أهل ولا ولد ، ولا أم ، ولا أب ، وهكذا فإن القلقشندي يرى أن النسخ من أشد الحرف وأتعبها ، كما أنها لا تُدر الربح الذي يضمن العيش الكريم لمن يعمل به.

وها هو أبو حيان التوحيدي الذي عمل بالنسخ كان دائماً يشتكي زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه ، فقال : "لقد استولى الحرف وتمكن من نكد الزمان إلى الحد الذي استرزق ، مع صحة نقلي ، وتقييد خطي ، وتزويق نسخي ، وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ النسخ ويمسخ الأصل والفرع ". وهكذا فإن أبا حيان التوحيدي يشتكي قلة ما يرزق به من ممارسته للنسخ برغم ما له من خط جيد وصحة في النقل ، وبرغم ما يتصف به من نسخه من بعد عن مشكلات النسخ[2] كالتصحيف والتحريف ، فبرغم هذا كله ما يعود عليه من النسخ يماثل ما يعود على أولئك الذين يراعون أصول النسخ والورِاَقة ، والذين يكثرون من الأخطاء فيما ينسخون ، وكان الصاحب بن عباد[3] قد قال يوماً : "الزم دارنا والنسخ هذا الكتاب " فأجابه أبو حيان لذلك ، ثم أمر لبعض الناس في داره (أي قال لهم سراً) إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب ولا زاحمت منتجعي هذا الربيع (أي ساكني هذه الناحية) لا مخلص من حرفة الشؤم فإن الورِاَقة لم تكن ببغداد كاسدة[4].

ويتضح مما ذكره أبو حيان أنه إنما هاجر من بغداد برغم رواج الورِاَقة بها ليتخلص من عمله بالورِاَقة ومشاقها ، وهرباً منها ، ولكنها برغم ذلك تلاحقه أينما ذهب ، فها هو الصاحب بن عباد يطلب منه أن ينسخ له كتاباً ولشدة كره أبي حيان للورِاَقة فقد وصفها بحرفة الشؤم. وذات مرة بعث إليه الصاحب بن عباد يطلب من أن ينسخ له ثلاثين مجلداً من رسائله طلبت منه بخراسان ، فاقترح أبو حيان أن ينسخها بعد أن يلخصها بحذف بعض الفقر منها ، فثار ابن عياد وقال : "طعن في رسائلي وعابها ورغب عن نسخها (أي رفض نسخها)" وتوعده فرد أبو حيان بعد سماعه لهذا فقال : "ما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلداً ، أينسخ إنسان هذا القدر وهو

([1]) القلقشندي: صبح الاعشى ، 472/2.

([2]) الصاحب بن عباد هو إسماعيل بن عباد أبو القاسم الوزير المشهور الذي وزر أولاً إلى مؤيد الدولة أي منصور بويه الديملي ، كان نادر الدهر ، لُقب بالصاحب ، كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ، ولد سنة 326 هـ توفي 385 هـ ، كذلك ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 228/1، 31؛ كذلك الزركلي : الأعلام ، 316/1.

([3]) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم الأدباء ، الطبعة الثالثة ، دار الطباعة والنشر والتوزي (د.م، 1400هـ/1989م) 28/12.

([4]) ياقوت الحموي:معاجم الآباء , 34/15، 35.

يرجو بعدها أن يمتعه الله ببصره ، أو ينفعه بيديه[1].

هكذا فإن ابا حيان يشير إلى أن نسخ مثل هذا القدر قد يذهب بالبصر والصحة والعافية ، وذلك لما في النسخ من مشقة جسدية وفكرية.

هكذا نظر بعض الورَّاقون وبعض من مارسوا الورِاَقة للورِاَقة نظرة ملؤها التشاؤم واعتبروها سبباً فيما حل بهم من سوء الحال وهلاك العافية ، وحلول الحاجة والفاقة والشقاء بهم ، وعلى ما يبدو لنا فإن هذه النظرة المتشائمة التي نظر بها بعض الورَّاقون للورِاَقة قد ترجع لعدة احتمالات:

- **الاحتمال الأول** : هو أن الورِاَقة لم تكن مهنة سهلة بسيطة ، بل كانت مهنة معقدة بحاجة إلى قرارات خاصة ، فمن يمارسها لابد وأن يجمع بين الإلمام بالعلم والمعرفة والإلمام بها كصناعة ذات خصائص ، وهذا الأمر لا يتأتى للكثيرين.

- **الاحتمال الثاني** : هو أن الورِاَقة كانت مهنة شاقة متعبة بحاجة إلى مجهود عقلي ومجهود بدني ولنا فيما ذكر القلقشندي دليل على ذلك ، إذ ذكر صراحةً أن النسخ من أشد الحرف وأتعبها ، وقد عبر أبو حيان[2] عن هذا عندما ذكر أن من ينسخ ثلاثين مجلداً لا يرجو أن يمتعه الله بعدها بالصحة والعافية.
- **الاحتمال الثالث** : هو أن الورِاَقة لم تكن لتضمن للكثيرين رغد العيش وهناءه ، فعلى ما يبدو لم تكن الورِاَقة تُدر من الربح الكثير ، وقد عبر القلقشندي عن ذلك عندما ذكر أن النسخ من أشد الحرف وأتعبها وأقلها مكسباً[3]، وإلا فيما نفسر فقر وشقاء معظم من أشرنا إليهم من ورَّاقين.

([1]) هالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي ، ص181.

[2]) أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (نحو 400هـ/ -1010م)، فيلسوف متصوف معتزل نعته ياقوت بشيخ الصوفية ، أما فيلسوف الأدباء ابن الجوزي، قال كان زنديقاً ولد في شيراز أو نيسابوور أقام في بغداد ثم إلى الري صحب ابن العميد صاحب بن عباد فلم يحمد ولا هما به إلى الوزير فاستتر منه ومات في استتاره عن نيف ثمانين عاماً = الزركلي: الاعلام ، 326/4.

([3]) هالة شاكر : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص181.

المبحث الثاني

حوانيت وأسواق الورِاَقة

أ- الأسواق:

السوق عبارة عن مجموعة من الدكاكين المنتصبة على حافتي الطريق ، ويُعَدّ من المعالم البارزة في المدينة الإسلامية الأولى ، فقد كانت تحيط بالمساجد في وسط المدينة، فتحتل مركز المدينة العربية الإسلامية ، وذلك لكونها تلبي شروط الحياة ومتطلباتها بين العرض والطلب ، وبين الحاجة والمصلحة فيلتقي الباعة بالمشترين فيه ، ويعتبر سوق المدينة هو مرآة حياتها الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري ، وقد أصبح للمسلمين بعد الفتح الإسلامي أسواق ثابتة ، وكان من أبرز سمات السوق العربي الإسلامي التخصص في البضائع ، والتجانس بين الحرف المتجاورة ، كما يتم التفريق بين الحرف التي يخشى منها على بعضها الآخر ، حيث كان بجانب سوق البزارين (الحرير) وتجار الأقمشة كل من له علاقة صناعة المنسوجات.

أما الحرف التي ليس بينها تجانس فإنها تبعد عن بعضها ، فمنهم من كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والطباخ والحداد ، وتتفق غالبية الأسواق العربية الإسلامية كونها ممتدة على مسافات طويلة مغطاة بالأسقف لحماية البضائع والمشترين من حرارة الشمس في الصيف والبرد والمطر في الشتاء ، وغالباً ما يكون البناء للسوق موحداً يكون له باب كبير يقفل عند المساء بعد الانتهاء من البيع والشراء ، وقد كانت الرقابة على السوق في يد موظف خاص يدعى العام[1] على السوق ، وكان من واجباته مراقبة الأوزان والمكاييل، ولا يجوز للمحتسب أن يسعر البضائع ، ويجب أن يأمر أهل الأسواق بتنظيفها من الأوساخ وغير ذلك مما يضر الناس[2].

([1]) العمامي ، أميمة عبد السلام علي : نشأة الأمصار في المشرق الإسلامي خلال القرن الأول الهجري ، للعام الجامعي (2005- 2006م) رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بنغازي ، قسم التاريخ ، ص27.

([2]) القلقشندي : صبح الاعشى ، 517/4.

ب- حوانيت الورِاَقة:

عندما كانت بغداد مركز الخلافة ، ودخلت عليها صناعة الورق و كيفية استخدامه سرعانما أصبحت تلك المدينة مركزاً للكتاب و الاتجار به .

مما ترتب عنه أقامة الحوانيت و أسواق الوراقة لبيع كل ما يتعلق بالورق و مستلزماته .

ويذكر بعض المؤرخين أنه أصبحت في بغداد سوقاً للوراقين وهذا تطرق له ياقوت الحموي في في ترجمته لأبي فرج الأصفهاني ، أنه كان جالساً مع أحد العلماء في دكان في السوق الوراقة ، وهذا يدل علي أن هناك اسواق خاصة بالوراقين في بغداد كنت مجرد حوانيت موزعة بين سوق العطارين و سوق البزارين و سوق الأسلحة و العدد ، وملتقى التجار في العصر الساساني [1].

ذكر ياقوت الحموي في ترجمته لأبي الفرج الأصفهاني أنه كان جالساً مع أحد العلماء في دكان في سوق الورِاَقة عندما تناول عليه الناس أن اعتقاده الإسلام وأن مذهبه وأن له كتباً في السنة موجودة في الورَّاقين أي في سوق الورَّاقين[2].

كذلك ذكر الخطيب البغدادي[3] أن محمد بن المظفر[4] بن موسى بن عيسى البزار كان له كتب وأصول الورَّاقين أي في سوق الورَّاقين.

هكذا فقد أشرت بعض المصادر إلى حقيقة وجود ما يُعرف بسوق الورَّاقين في بغداد.

([1]) القلقشندي : صبح الأعشى ، 517/4.

([2]) هالة شاكر : الورق والوراقون في العصر العباسي ، ص200.

([3]) البغدادي : تاريخ بغداد ، ص23.

[4]) محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى البزار (286-379هـ/899-1989م) محدث العراق في عصره يقال إنه من ولد سلمة بن الأكواع ، أصله من سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد ، صنف كتباً من "فضائل العباسي " من أصوله في الورَّاقين شيئاً كثيراً = الزركلي: الاعلام ، 104/7.

ج- سوق الورَّاقين في بغداد:

ذكرت المصادر وجود مثل هذا السوق في بغداد ، فقد ذكرت مواضع لهذا السوق مع تحديد مبين لموضعه ومكانه في المدينة ، فقد ورد في كتاب الأغاني للأصبهاني [1] أنه يعرف الوراق الذي وضعه وكان يسمى بسند الوراق ، وأن حانوته كان في الناحية الشرقية في خان الزبل ، وقد كان سند هذا يورق لإسحاق ابن إبراهيم.

وهكذا فإنه حدد موضع السوق بأنه في الجانب الشرقي لبغداد ناحية أو بجوار خان الزبل ، وقد ذكر ابن النديم[2] أيضاً في ترجمته لأبي طاهر طيفور [3] أنه كان مؤدب كتاب عامياً ، ثم تخصص وجلس في سوق الورَّاقين في الجانب الشرقي ، وهو بهذا يشير إلى موقع السوق كان في الجانب الشرقي لبغداد كما أشار البغدادي[4] إلى مكان هذا السوق في أحد التراجم إذ ذكر أن صاحب الترجمة اتكأ على يد صديق له حتى انتهيا إلى سوق الورَّاقين من الجانب الشرقي ، وعن تحديد موقع هذا السوق ذكر اليعقوبي أنه بجوار أحد الأبواب الموجودة ببغداد والمعروف بباب البصرة ، والمشرف على دجلة وباذاته القنطرة الجديدة ، وعليها سوق كبيرة فيها سائر التجارات مادة متصلة ، ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح ، وأسواق هناك ، ما أكثر من فيه في الوقت الورَّاقون أصحاب الكتب ، فإنه أكثر من مائة حانوت للورَّاقين.

وهكذا فإن اليعقوبي وهو من أهل القرن الثالث الهجري يشير إلى أن موضع سوق الورَّاقين بالناحية الشرقية للمدينة ناحية ربض وضاح وفيه أوضح صراحة أن بالسوق أكثر من مائة حانوت للورق ، وواقع الأمر أن مائة حانوت عدد ليس بالقليل مما قد جعل البعض يتهم اليعقوبي بالمبالغة في العدد ، إلا أنه يعطينا انطباعاً عن مدى الاتساع في إنشاء حوانيت للورق مما يدل على أن الورق وأوصافه ومستلزماته كان من السلع المطلوبة والتي عليها إقبال ، خاصة ممن لهم اعتناء بأمر النسخ والكتابة[5].

([1]) الأصبهاني : كتاب الأغاني : علي الحسين ، كتاب الأغاني ، دار الكتب العلمية (بيروت – 1992)، 7/2.

([2]) ابن النديم : الفهرست ، ص209.

[3]) ابن أبي طاهر طيفور هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ولد ببغداد عام 204هـ، توفي 280هـ على حد تعبير ابن النديم، جميل الأخلاق طريف المعاشرة، كان له بعض القصائد ومعلومات ابن النديم: الفهرست ، ص209.

([4]) البغدادي: تاريخ بغداد ، 289/14.

([5]) الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه: البلدان، طبع في مدينة ليدن، مطابع بريل، 1885م، ص249.

أوصاف السوق:

في وصفه لأسواق بغداد أن لكل تجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت عرض (أي محال كبيرة متسعة) ولا يختلط قوم بقوم ولا تجار بتجار ولا يباع صنف مع غير صنفه ، ولا يختلط أصحاب المهن مع سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق بمفرده ، وكل أهل منفردون بتجارتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غيرهم بطبقتهم.

ولذلك فإننا نرجح أن الشوارع المؤدية للسوق كانت متسعة ، كما نرجح كون الحوانيت والمحال واسعة شأنها في ذلك شأن باقي الحوانيت بالمدينة ، وهذا بناء على ما ذكره اليعقوبي[1] من أن المنصور أعطى أوامره للعمال والبنائين أثناء بنائهم لبغداد بأن يوسعوا في الحوانيت ، إذ قال : "وأمرهم المنصور أن يوسعوا في الحوانيت ، كذلك أن سوق الورَّاقين كان متسعاً كبيراً ، وإلا فكيف يتسع لاحتواء مائة حانوت للورق كما أننا نضع احتمالية كون السوق مزدحماً بشكل دائم مؤيدين في هذا رؤية لطفي الله قاري[2] إذ يحكي ياقوت الحموي "[3].

أن ابن الخشاب المعروف بعبد الله بن أحمد كان إذا حضر سوق الورَّاقين وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال أنه مقطوع ليأخذه بثمن بخس ، ويدلنا هذا على ما كان عليه السوق من ازدحام حتى أن أحداً لم يره وهو يقطع الكتاب ليبخس ثمنه ، ونحن نرى أن مثل هذا التصرف يتنافى تماماً مع الأخلاق والسلوك العام والآداب الحسنة التي يجب على كل إنسان التحلي بها والرفض لمثل هذا التصرف الذي قام به ابن الخشاب ، نرى أن هذه الواقعة تعكس لنا صورة غير مقبولة كان يمارسها أحد السفهاء ، كما أنها تشير إلى ما كان عليه السوق من ازدحام حتى أن أحداً لم يرّ هذا الرجل وهو يقطع الكتاب ليبخس ثمنه.

([1]) اليعقوبي : البلدان ، ص243، 249.

[2]) لطفي الله قاري : صاحب كتاب الورِاَقة والورَّاقون في التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع (الرياض ، 1402هـ/1982م).

([3]) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص51.

رواد سوق الورَّاقين:

إن التطورات الثقافية والحضارية والعمرانية توقعنا عند سوق الورَّاقين وبقية الأسواق في بغداد ولا تخفى على المتتبع حالة التطور الاقتصادي التي مرت بها العصور العباسية ولاسيما في القرن الثالث الهجري ، حيث نشطت الزراعة والتجارة وامتد نفوذ العباسيين التجاري إلى المغرب الأقصى ، والأندلس وشرق أفريقية من جهة ، وإلى روسيا وحوض البلطيق من جهة ثانية ، وإلى الهند والصين وكوريا من جهة ثالثة[1].

وأن هذه التطورات الاقتصادية نتيجة منطقية لتطور الحالة السياسية للسلطة العباسية والمجتمع العباسي ، فمن المنطقي أن تكون الحركة العلمية والثقافية فيها مزدهرة وعلى أشدها.

إذن ترتسم أمامنا حالة ثقافية واسعة الأطراف وبعيدة المرامي تبرعمت وأثمرت مع تاريخ بغداد السياسي والحضاري في أيام العباسيين ، وأوجدت تعبيرات هذه الحالة في أكثر من مكان ومحل ، لاسيما في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء والمجالس العلمية الأخرى، ولكن أوضح نشاط لها كان سوق الورَّاقين ذلك السوق الذي يشير إلى أنه قد فاق في تأثيره الثقافي جميع الأسواق[2].

حيث إن بضاعة هذه السوق نامية باطراد ، وزبائنه صفوة المجتمع المتحضر من العلماء والأدباء والشعراء ، وباعة هذه البضاعة هم الورَّاقون ، أصحاب القدح في الثقافة العربية الإسلامية ، أولئك الذين مزجوا بين رغباتهم النفسية والعقلية ، وبين مصدر قوتهم، فليس اعتباطاً أن يصف ابن عقيل هذه السوق بأنها "سوق كبيرة، وهي مجالس العلماء والشعراء "[3].

وإذا انطلقنا من هذه العبارة فأن الأفق يمتد أمامنا رحباً فيدرج في دلالة المضمون للفلاسفة ، والمتكلمون ، والعلماء ، والمحدثون ، وأصحاب الكلام الصوفيون ، والزنادقة، والمتشددون ، والقضاة ، ورجال السياسة ، والأدبا ء، والنقاد ، والشعراء ، والظراف ، وغيرهم، يمكن للمرء أني شاهدها يومياً في السوق هي تقف عند دكاكين الورَّاقين أو في إحدى حلقات المنادي في قلب السوق وهو يعرض بضاعته للبيع.

([1]) الدوري ، عبد العزيز : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، الطبعة الأولى، منشورات دار الطليعة (بيروت، 1978م) ، ص69، 70.

([2]) سعيد ، خير الله : رواد سوق الورَّاقين ، آفاق الثقافة والتراث ، السنة الخامسة ، العدد التاسع عشر ، رجب 1418هـ/نوفمبر – تشرين الثاني، 1997م) ، ص21.

([3]) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد : مناقب بغداد ، تحقيق محمد زينهم عزب ، دار غريب (القاهرة ، د.ت) ، ص26.

وبغية معرفة بعض هؤلاء الرواد سنحاول ذكر بعض من كان دائم التردد على هذا السوق ، وفي هذا الصدد يشمخ الجاحظ إماماً بكل قوة وجبروت ، فهو قد أودع سره في الكتب ، وفيها كان صوته ، وبين الورَّاقين كانت شهرته وسطوته حتى قال ابن النديم وياقوت الحموي إنه كان يكتري أسواق الورَّاقين و بين فيها للنظر[1].

وهذا العملاق كان واحداً من أركان الثقافة العربية الإسلامية ماضياً وحاضراً ، وقد تناقلت أخباره المصادر ، وحكت عنه كتب الفقه والعلوم الدينية وحسده الأوائل والأواخر حتى أن ثابت بن قرة[2] قال : "ما أحسد هذه الأمة إلا على ثلاث أنفس ، أولهم عمر بن الخطاب، والثاني الحسن البصري[3] والثالث أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين شيخ المتكلمين ودره "[4]. المتقدمين والمتأخرين إن تكلم حاكى سحبان البلاغة ، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال ، وإن جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس[5] وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ومراح الأرواح ، شيخ الأدب ، ولسان العرب كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة أما نازعه منزع الإرشاه آنفاً ولا تعرض له متعرض الإقدام له التواضع[6].

استبقاء ، الخلفاء تعرفه والأمراء تصفه وتناديه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له، والعامة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

([1]) ابن النديم : الفهرست ، ص169، كذلك ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، 75/16.

[2]) ثابت بن قرة (221–288هـ/836–901م) الحراني الصابئ أبو الحسن: طبيب حلب فيلسوف ولد ونشأ بحران (بين دجلة والفرات) قصد بغداد فتخرج من حران فاشتغل بالفلسفة والطب = الزركلي: الاعلام ، 58/2.

[3]) الحسن البصري (21–110هـ/642–728م) بن يسار البصري أبو سعيد إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه أحد العلماء ولد بالمدينة، سكن البصرة، توفي بالبصرة = الزركلي: الاعلام ، 226/2.

([4]) خير الله سعيد: رواد سوق الوراقين ، مجلة آفاق لثقافة و التراث ، العدد السادس والعشرون ، تصدر عن ادارة البحث العلمي والنشاط الثقافي (اليمن ، 1997) ، ص22.

[5]) عامر بن قيس عبر قيس المعروف بابن قيس العنبري من بين العنبر، أول من عُرف بالنسك من عباد التباعين بالبصرة، هاجر لها تلقن القرآن حين قدم البصرة علم أهلها القرآن، مات ببيت المقدس في خلافة معاوية = الزركلي: الاعلام ، 252/3.

([6]) التوحيدي، علي بن محمد بن عباس أبو حيان: المقابسات، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، 1347هـ/1929م) ص52، 56.

ومن رواد هذا السوق في القرن الثالث الهجري علي بن يحيى المنجم[1] صاحب الخزانة العظيمة التي بناها في صيفته وسماها خزان الحكمة، ومن الرواد المشهورين أبو الفرج الأصبهاني[2] كان هذا الرجل شبه مقيم في سوق الورَّاقين، وله نوادر وحكايا في السوق[3].

- **مشاهير الرواد:**

كان أشهرهم ابن سهل النوبختي[4] صاحب خزانة المأمون، وواحد من أعلام الشيعة وأعيانهم، كان يترصد في سوق الورَّاقين حركة أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني حتى قال عنه أنه أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الورَّاقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون روايته كلها منها[5].

ومن العلماء الذين يمكن اعتبارهم من الرواد لسوق الورَّاقين تلك الطائفة الكبيرة التي أوردها ابن النديم في "الفهرست" لاسيما وأنه كان يلتقي بهم في ذات السوق، نظراً لكونه وراقاً معروفاً من أمثال واصل بن عطاء[6] (700-708م)، وأبي الهذيل العلاق[7]، إبراهيم بن سيار[8] ولد ما بين

---

[1] ابن يحيى المنجم (241-300هـ/855-912م) الأديب الشاعر المتكلم النديم أحد أعلام بن المنجم المعروفين عملهم وظرفهم ومناداتهم للخلفاء العباسيين يعودون بنسبهم الفارسي وهو أبو أحمد يحيى بن علي ابن يحيى ابن أبي منصور = www.arabeny.com

[2] أبو الفرج الأصبهاني، ولد في عام 284هـ، توفي عام 256هـ، وهو أصفهاني الأصل، بغدادي المنشأة له مؤلفات عظيمة أشهرها الأغاني = ابن خلكان: وفيات الأعيان، 307/3.

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ص94-136.

[4] أبو سهل النوبختي إسميعيل بن علي بن نوبخت من كبار الشيعة أستاذه وكان فاضلاً عالماً متكلماً وله مجلس يحضر، من المتكلمين وله رأي في القائم من آل محمد (ﷺ) مات في الغيبة وقام بالأمر في الغيبة ابنه. نقل عن ابن النديم: الفهرست، 225/5.

[5] البغدادي: تاريخ بغداد، ص399.

[6] أبو حذيفة واصل بن عطاء (700-708هـ) مولي بن ضبة مولده بالمدينة وإنما سمي الغزال لملازمته سوق الغزل نقل عن ابن النديم: الفهرست، ص202.

[7] أبو الهذيل محمد بن الهزيل العلاق مولى عبد القيس ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ويقال سنة اربع وثلاثين، توفي بسرمدي سن ست وعشرين ومائتين وكانت سنه مائة سنة أربع سنين. نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص203.

[8] أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام (160هـ-185هـ) اختلاف في ولادته مولي للزياديين من ولد البعيد قد جرى عليه الرق في أحد آبائه متكلماً شاعراً أديباً، نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص205.

(160هـ-185هـ)، ثمامة بن أشرس (213هـ)[1]، وابن أبي داوود[2] (210-250هـ)، ابن الرواندي[3] (210-350هـ)، الناشئ[4]، وأبي علي الجباني[5] (235-303هـ)، علي بن عيسى الرماني[6] توفي (384هـ)، شيطان الطاق[7] توفي (180هـ) الإمام والأطباء، والشعراء والعلماء وغيرهم[8].

---

[1] أبو بشر ثمامة بن أشرس النميري (213هـ) من بن غير حليبة من المعتزلة كاتب بليغ بلغ من المأمون منزلة جليلة، نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص212.

[2] أحمد بن أبي داود (210-250هـ) أنه من أفاضل المعتزلة وممن جرد في إظهار المذهب والندب عن أهله والعناية به نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص212.

[3] أبو الحسن أحمد بن يحيى الروندي (210-350هـ) من أهل مرد الرود من المتكلمين كان في أول أمره حسن السيرة جميل المذهب. نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص216.

[4] الناشئ الكبير هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله مالك الناشئ المعروف بشرشير من أهل الأنبار كان متكلماً شاعراً مسترسلاً حسن الأدب. نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص 217.

[5] أبو علي الجباني (235-303هـ) من المعتزلة في البصرة، اسمه محمد بن عبد الوهاب بن سلام. نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص217.

[6] علي بن عيسى الرماني توفي (384هـ) جار لابي الحسن عل بن عيسى بسوق العطش وكان كثيراً ما يمتاز الرماني وهو جالس على باب داره. نقل عن ابن النديم: فهرست ، ص218.

[7] أبو الجعفر لا حول اسمه محمد بن النعمان يلقب بسطان الطاق توفي (180هـ) وقيل (186هـ) كان متكلماً حاذقاً وله من الكتب كتاب الإمامة. نقل عن ابن النديم: المصدر فهرست ، ص224.

([8]) خير الله سعيد: رواد سوق الوراقين ، ص22.

المبحث الثالث

أشهر أعلام الورَّاقين

1- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[1]:

الاسم : عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة .

الميلاد (159هـ) :

أ- المولد والنشأة:

ولد في مدينة البصرة ، نشأ فقيراً ، كان دميماً قبيحاً جاحظ العينين ، عُرف عنه خفة الروح، وميله إلى الهزل والفاكهة ، ومن ثمَّ كانت كتاباته على اختلاف مواضيعها لا تخلو من الهزل والتهكم ، طلب العلم في سن مبكرة ، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حالاَ دون تفرغه لطلب العلم ، فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورَّاقين في الليل ، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته ، وكانت ولادته في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين.

ب- ثقافته:

كان للجاحظ منذ نعومة أظافره ميل واضح ونزوع عارم إلى القراءة والمطالعة ؛ حتى ضجرت أمه وتبرمت منه ، وظل هذا الميل ملازماً له طيلة عمره حتى أنه فيما اشتهر عنه لم يكن يقنع أو يكتفي بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد بل كان يكتري دكاكين الورَّاقين ويبيت فيها للقراءة والنظر. ويورد ياقوت الحموي قولاً لأبي هفاف – وهو من معاصريه ومعاش يدل على مدى نهم الجاحظ بالكتب ، يقول فيه : "لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، ولا عجب إذ ذاك في أن يغرد الصفحات الطوال مرات عدة في كتبه ، للحديث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها ، والحق أنه

([1]) الجاحظ ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر : البيان والتبين ، الطبعة السابعة ، مطبعة المدني ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1418هـ/1998م) 1/5-8.

كان أشبه بآلة مصورة ، فليس هناك شيء يقرؤه إلا ويرتسم في ذهنه ويظل في ذاكرته آماداً متطاولة "[1].

ولكن الجاحظ لم يقصر مصادر فكره ومعارفه على الكتب ، وخاصة أن ذلك عادة مذمومة فيما أخبرنا هو ذاته وأخبرنا كثيرون غيره ، إذ العلم الحق لا يؤخذ إلا عن معلم، فتتلمذ على أيدي كثير من المعلمين والعلماء ، واغتنى فكره من اتصاله بهم ، وهو إم لم يتفق مع بعضهم أو لم يرض عن فكرهم فإنه أقر بفضل الجميع ، ونقل عنهم وذكرهم مراراً بين طيات كتبه[2].

ج- منهجه العلمي:

انتهج الجاحظ في كتبه ورسائله أسلوباً بحثياً أقل ما يقال فيه إنه منهج بحث علمي مضبوط ودقيق يبدأ بالشك تعرض على النقد، ويمر بالاستقراء على طريق التعميم والشمول[3].

د- مؤلفاته:

- البيان والتبين في أربعة أجزاء.
- كتاب الحيوان في ثمانية أجزاء.
- البخلاء.
- المحاسن والأضداد.
- البرصان والعرجان.
- الأمل والمأمول.
- التبصرة في التجرة.
- البِغَال.
- فضل السودان على البيضان.
- كتاب خلق القرآن.

([1]) الزركلي: الاعلام ، 197/1.

([2]) الجاحظ: الحيوان .

([3]) شبكة المعلومات الدولية، الموسوعة الحرة https://at-m-wikip-wiki

- العديد من الرسائل التي حقق بعضاً منها الدكتور عبد السلام هارون، وطبعت تحت عنوان "رسائل الجاحظ – كتاب".

وفاته: توفي نهاية عام 255هـ/868م.

2- أبو الفرج محمد بن إسحق ابن النديم: (ت: 484هـ-1047م):

الاسم: محمد بن إسحق:

أ- المولد والنشأة:

لا نعرف شيئاً عن مكان ميلاده واسباب كنيته "ابن النديم" باستثناء أنه عاش في بغداد وفيها عمل كاتباً، وخطاطاً، وناسخاً لكاتب كمهنة ورثها عن والده. من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها، وهو بغدادي يظن أنه كان وراقاً يبيع الكتب، وكان معتزلياً متشيعاً، يدل كتابه على ذلك كما يقول ابن حجر من أهل السنة الحشوية[1].

ب- ثقافته:

لقد كان ابن النديم أديباً، وكاتب سيرة، ومصنفاً، وجامع فهارس، صاحب الكتاب المعروف "الفهرست" الذي جمع فيه كل ما صدر من الكتب والمقالات العربية في زمنه. وكتاب الفهرست الذي نشره عام 938هـ والذي قال في مقدمته إنه جامع لكل ما صدر من الكتب العربية وغير العربية، فكان بذلك أول المصنفين في العالم، حيث لم تكن قبله لا كتب تصنف الشعر والشعراء تسمى الطبقات، وكان هو من أدخل كلمة "الفهرست" الفارسية إلى العربية[2].

ج- مؤلفاته:

كتاب الفهرست الذي قسمه إلى عشرة فصول هي:

- أعمال الصرف والنحو واللغة.
- التاريخ والسير والجغرافيا.
- الشعر.
- علم الكلام.
- الفقه والحديث.
- الفلسفة والعلوم القديمة.

([1]) ابن النديم: الفهرست، 3/2-4.

([2]) الزركلي: الاعلام ، 29/6.

- الأساطير والحكايات والسحر.
- مقالات عن غير الموحدين أمثال الهندوس والبوذيين والصينيين والمانيين.
- الكيمياء[1].

وفاته: توفي (384هـ/1047م).

(1) شبكة المعلومات الدولية، الموسوعة الحرة.

3- ياقوت الحموي (574-646هـ):

هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي.

الجنس والمولد:

الحموي المولى، البغدادي الدار، الملقب شهاب الدين.

نشأته:

أسير من بلاد الروم وحمل إلى بغداد مع غيره من الأسرى فبيع فيها، فاشتراه تاجر اسمه عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، فنُسب إليه ياقوت الحموي، وكان الذي اشتراه جاهلاً بالخط[1].

وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجارته وكان مولاه عسكر لا يعلم شيئاً سوى التجارة ولم يقرأ شيئاً من النحو واللغة، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره، فكان يتردد على كثير من البلدان ثم اعتقه مولاه في سنة (596هـ) فاشتغل بالنسخ بالأجرة، وعمل الورِاَقة، وكان من أثر عمله بالورِاَقة والنسخ أن أصبح مداوماً على الاطلاع، كما عمل في الاتجار بالكتب، وسافر وتنتقل كثيراً بين البلدان[2].

ثم سافر إلى حلب وجعل ينتقل من بلد إلى آخر، حتى استقر في خوارزم، فمكث فيها إلى أن أغار عليها المغول سنة (616هـ/1219م)، فانهزم ياقوت الحموي إلى الموصل لا يحمل شيئاً من ماله، ثم سار إلى حلب وأقام في ظاهرها إلى أن مات[3].

مؤلفاته:

عمله بالورِاَقة قد أهله للكتابة والتآليف، فصنف كتباً. من مؤلفاته:

- معجم البلدان.

([1]) ياقوت الحموي: البلدان، 6/1.

([2]) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت (لبنان، د.ت) 6/127-139.

([3]) الحموي: البلدان ، ص6.

- معجم الأدباء، الذي ذكر فيه تراجم عديدة لكثير من الورَّاقين، وقد ذكر في بداية مؤلفه أنه جمع هذا الكتاب من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين، والأخبار بين المؤرخين والورَّاقين المعروفين. والكتَّاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة كل من صنف في الأدب تصنيفاً جمع فيه تآليفاً[1].

وفاته: توفي (626هـ-1228م).

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ص127-139.

الفصل الرابع

إنشاء بيوت الكتب واهتمام العباسيين بها

المبحث الأول : الأمالي ومجالس الإملاء

المبحث الثاني : أثر الورق على التوسع في إنشاء خزائن الكتب

المبحث الثالث : أثر الورق على عملية الترجمة

المبحث الأول

الأمالي ومجالس الإملاء

الإملاء هو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم، ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً[1]. مباشرة أشهر المصنفات أمالي ابن دريد[2]، وأمالي ثعلب[3]، وأمالي الزّجّاج[4]، أمالي الأنباري[5]، وأمالي القالي[6]، وأمالي أبي العلاء المعربي في مئة كراسة، ثم يتمها[7]، وأمالي جحظة[8]، وقد فاتنا بضياعها أشهى الحضارة العباسية وأطيب ملحها

([1]) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون، طبعة الآستانة (إستنبول، د.ت) 147/1-148.

[2]) أمالي بن دريد: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن ختم، كان أحد غلمان أبو الحسين الدريدي، وكان مولده بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاثة وعشرين ومائتين منسوبة إلى قرية نواحي عمان يقال إنها حمامي تنقل من جزيرة ابن عمار ثم فارس فقطها في بغداد كان عالماً باللغة وأشعار العرب روي كتاب مسالمات الأشراف، توفى في بغداد إحدى وعشرين وثلاثمائة = الفهرست: المقالة الثانية، ص67.

[3]) أمالي ثعلب: هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس ثعلب، ابتداء بالنظر في العربية والشعر واللغة في خمسة عشرة كانت عنايته بالنحو = ابن النديم: الفهرست، المقالة الثانية، ص81.

[4]) أمالي الزجّاج: الإمام أبو القاسم عبد الرحمن إسحاق الزجّاج، دار نشأة أصيلا (النهاوندي) ومولداً من كان أمالي في عام النحو صنف كتاب "الجمل الكبرى" أخذ النحو محمد بن العباس وأبي بكر الأنباري صاحب الزجّاج منتسب إليه، سكن دمشق، توفي في رجب سنة سبع، وقيل سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة من شهر رمضان سنة أربعين = الأمالي: الزجّاج، الطبعة الثانية، سنة (1354هـ/1936م) مطبعة المحمودي التجارية بالأزهر بمصر، ص2.

[5]) أمالي بكر بن الأنابي (271-328هـ/884-940م): محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، ولد في الأنبار (على الفرات) توفي ببغداد وله في الأمالي = الزركلي: الاعلام ، 334/6.

[6]) أمالي القالي (288-356هـ/901-967م): أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب، ولد ونشأ في منازجرد (على الفراد الشرقي بقرب بحيرة وان) ورحل إلى العراق فتعلم في بغداد وأقام 25 سنة فيها ثم رحل إلى المغرب سنة 328هـ فدخل قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر. أشهر تصانيفه كتاب "النوادر" كان من أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه إليهم من بغداد = الزركلي: الاعلام ، 201/1.

([7]) زيات، حبيب: الورّاقة والورّاقون في الإسلام، الطبعة الكاثوليكية من مجلة المشرقي (بيروت، 1947م) ص7.

[8]) أمالي جحظة (543-617هـ/1148-1220م): محمد بن الفضل ابن المكارم ابن شيخ الأزهر، فقيه مالكي عالم بأصول من أهل مصر، ولد في وراق الحضر ضواحي القاهرة، تعلم وتربى بالأزهر، عُين شيخاً لمعهد الإسكندرية، وظل في هذا المنصب حتى وفاته بالقاهرة = الزركلي: الاعلام ، 330/6.

وطرائفها بحسن وصف جحظة كل ما مر به وشهده من مجالس الغناء والطرب وفكاهات المنادية، وكما يدل على ذلك ما رواه عنه أبو الفرج في كتاب الأغاني، وقد اشتهر برقة الوصف والتلطف في الغوص على غرائب المعاني، ورق الجو حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمان. ما حواج كان من المؤلفين للإملاء العلماء العميان وربما استوعب الإملاء عدة مجالس في عدة سنين، ولأبي بكر بن الأنباري كتاب المشكل في معاني القرآن أملاه سنين كثيرة ولم يتمه، ولعلي أيضاً أكثر مصنفاته وله غريب الحديث، قيل إنه خمس وأربعون ألف ورقة من حفظه، ولأي العادات ابن الشجري[1] كتاب الأمالي، وهو أكبر تصانيفه وأمتنهما، أملاه في أربعة وثمانين مجلساً[2]. وربما اختلف لفظ الإملاء بارتجال إذ تكرر إلقاؤه، فتختلف لذلك نسخ الكتاب، مثل كتاب الجمهرة لابن دريد قالوا أملاه بفارس، وأملاه ببغداد من حفظه فزاد ونقص ولما قعد الفرّاء للإملاء ازدحم الناس على مجالسه وغصت بالقضاة والعلماء.

كذلك روى ابن خلكان في وصفها عن الطيب البغدادي فصلاً ممتعاً يطلع منه على ما كان يجري وقتئذ بين المؤلفين والورَّاقين، وكيف كان الورَّاقون يختارون أحياناً المؤلفات ويحتكرونها حباً بالربح، قال: "إن الفرّاء لما تصل بالمأمون أمر أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سع من العربية"[3]، وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وسيّر إليه الورَّاقين، وألزمه الأمناء والمنفقين، فكان يُملي والورَّاقون يكتبون حتى صنف "الحدود" في سنتين. وأمر المأمون بكتبة بالخزائن، فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ بكتاب "المعاني". قال الراوي: أردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا الإملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم، فعددنا القضاة، فكانوا ثمانين قاضياً، فلم يزل عليه حتى أتمه، ولما فرغ من كتاب "المعاني" خزنه الورَّاقون عن الناس ليكسبوا به، وقالوا لا تخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم، فشكا الناس إلى الفرّاء، فدعا الورَّاقين وقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحبناك لننتفع بك، وما صنعته فليس بالناس إليه حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب فدعنا نعيش به، فقال قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا، فأبوا عليه، فقال: سأريكم، وقال للناس: إني مُمْلٍ كتاب معان أتم شرحاً وأبسط قولاً من الذي أمليت. وجلس يملي فأملى "الحمد" في مئة ورقة فجاء الورَّاقون إليه وقالوا: نحن نبلغ الناس ما يحبون، فنسخوا كل

---

[1]) ابن الشجري، هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ابن منصور البغدادي الشجري (350هـ/961م) قاضٍ من أهل بغداد، كان عالماً بالأحكام والقرآن والأدب والتاريخ، وله عدة مصنفات، ولي قضاء الكوفة، وكان متساهلاً في الحديث = الزركلي: الاعلام ، 199/1.

[2]) مجلساً: ربما اختلف لفظ الإملاء بارتجال إذ تكرر إلقاؤه، فتختلف لذلك نسخ الكتاب، مثل كتاب الجمهرة لابن دريد، قالوا أملاه بفارس وأملاه ببغداد = حبيب الزيات: الوراقة والوراقين في الاسلام ، ص7.

[3]) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 301/2، 302.

عشر أوراق بدرهم[1].

من هذا الخبر الطريف يستدل على أن الوراقة في عهد العباسيين كانت تشبه الوراقة الآن، وأن سوق الكتب كأسواق اليوم خلاف النسخ كان يقوم مقام الطباعة، وأطماع التجارة في كل حال واحدة في كل عصر وعصر[2].

مجالس الإملاء والمملون:

كان الإملاء في أول أمره لا يتجاوز منزل المحدث أو المؤلف، ثم ازدادت الرغبة في السماع والكتابة، فضاقت المنازل عن استيعاب الجموع، فانتشروا حولها في ما جاوز من الأزقة والأحياء فكان ابن الجعالبي[3] يملي مجلسه ممتلئ السكة التي يملي فيها، والطريق غصت الدور والأفتية أيضاً بالمستمعين، فانتقلت المجالس إلى الشوارع والرحاب[4].

ورد جعفر الغرياني[5] على بغداد واستقبل بالطيارات والزبازب ووعد الناس إلى شارع المنارة للحضر مجلسه لسماع الحديث، فقيل نحو ثلاثين ألفاً وكانت وفاته سنة (301-913)[6].

وأكثر ما كانت هذه المجالس الجامعة لإملاء الحديث وربما بلغ عدد الحضور نيفاً ومئة ألف كما سيجيء، فكان لابد لإسماع هذا الحشد العظيم من منادين يتلقفون ألفاظ

المحدث وينقلونها إلى الملأ كالصدى، ويقال لهم "المستلمون" ويختلف عددهم بحسب ازدياد السامعين، وانتشار الحلقات، وبُعد المسافات، وكان للقاضي "المحاملي" أربعة مستلمين عليه وكنت لا أكتب في المصادر ومجالس الإملاء إلا ما أسمعه من لفظ المحدث، فقمت قائماً لأني كنت بعيداً عن المحاملي بحيث لا أسمع لفظه، فلما رآني الناس أفرجوا لي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير[7] (وليس لدينا نص صريح أو دليل تاريخي دامغ على أن هذا الرقم

---

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص61؛ كذلك ابن خلكان: وفيات الاعيان ، 301/2، 302.

(2) حبيب زيات : الورق والوراقون في الاسلام ، ص8.

3) ابن الجعالبي : لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، 28/3.

5) جعفر الغرياني، محمد جعفر محمد أبو الحسن ابن الغرياني، عدادة في البغداديين، ثم نزل حلب، روى عن العباس الدوري وإسحاق بن ، عاش دهراً، ولد سنة 247 = الموسوعة الحرة: https://ar-m-wiki-wiki .

(6) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (بيروت، 1992م) 124/6.

(7) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 326/14.

مبالغ فيه).

وفي سنة 292–905 مات إبراهيم بن عبد الله بن المهاجر[1]، أبو مسلم البصري المعروف باللكجي[2] وهو الذي مدحه البحتري بقوله:

هل تبدينَّ لي الأيام عارفة لدي أبي مسلم اللكجي رد أسد

قال أبو بكر أحمد بن جعفر بن مسلم[3]: "لما قدم علينا أبو مسلم اللكجي أملى الحديث في رحبة عنان وكان في مجلسه سبعة مستلمين يبلّغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر تجده فبلغ ذلك نيفاً وأربعين ألف محبرة سوى النظارة[4].

وقد بلغوا أحياناً في عدد المستلمين، حتى زعموا أنهم كانوا في مجالس الغرياني ثلثمائة وستة عشر، والمستمعون لهم ثلاثين ألفاً فقط ممن حزر جملة بأكثر من مئة ألف إنسان[5].

أرجح أن هذا العدد كبير جداً مبالغ فيه، أو يعتبر خطأ عند الكتاب.

أبو الحسن عاصم بن علي الوسطي[6]، حدث في بغداد في مسجد الرصافة، كان يستملي عليه هرون الديك وهرون مكحلة.

قال **عمرو بن حفص**[7]: وجه المعتصم من يحزر مجلس عاصم بني علي في رحبة النخل في جامع الرصافة وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات (المستنقعات) وينشر الناس

---

[1]) إبراهيم بن عبد الله بن المهاجر، توفي سنة (292–905هـ) هو من آمالي = ابن النديم: الفهرست.

[2])أبو مسلم البصري المعروف باللكي (200–292هـ/816–904م) هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم البصري اللكجي من حفاظ الحديث كان سرياً نبيلاً، نسبة إلى لكج بفارس له كتاب "السنن" مات ببغداد وحمل إلى البصرة ومولده فيها = الاعلام ، 49/1.

[3]) بوبكر أحمد بن جعفر بن مسلم: لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

([4]) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، 131/6–133.

([5]) ابن الجوزي: مناقب بغداد ، ص134.

[6]) أبو الحسن عاصم بن علي الواسطي: لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

[7]) عمرو بن حفص بن عثمان بن قيمية (154هـ/171م) أمير أبطال كان العجم تسميه "هزارمرد" ولي إمارة السند في أيام المنصور العباسي مدة ثم وجهه المنصور أمير على أفريقية فدخل القيروان في 151هـ قائمة فقاتل فيه = الزركلي: الاعلام ، 44/5.

في الرحبة وما يليها، فيعظم الجمع جداً حتى سمعته يقول: "حدثنا الليث بن سعد[1]" ويستعاد فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون وكان هرون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها[2]، فبلغ المعتصم كثرة الجمع فأمر بحزرهم فوجه قطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومئة ألف".

وربما حضر الخليفة نفسه أحد هذه المجالس وراء ستر وكان **أسليمان بن حرب الواشجي البصري:** مجلس عند قصر المأمون "فبنى له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد وعليهم السواد، والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشف وهو خلفه يكتب ما يملى فسئل أول شيء حديث **حوشي بن عقل** فلعله قد قال: "حدثنا حوشي بن عقل" أكثر من عشر مرات وهم يقولون: لا نسمع حتى قالوا ليس الرأي إلا أن يحضر هرون المتسملي فذهب جماعة فأحضروه".

وكان صوته كالرعد فسكت المستملون كلهم واستملى هرون هذا في الأرجح هرون ابن سفيان بن راشد أبو سفيان المستملي المعروف بملكحة[3] . [4]

كانوا إذا احتاجوا إلى المداده بذنوب المتهمين في دينهم واستتنابتهم يقولون المستلمون بين أيادي القضاء في الجامع .

يذكر**محمد بن عبد الرحمن البيرفي**[5]:

" أنه شهد في مسجد الجامع بالرصافة أجتمع الناس وأقيم بشر علي صندوق من صناديق المصاحف عند باب الخدم وقد اجتمع الناس وأقيم بشر على صندوق من صناديق المصاحف عند باب الخدم".

وقام المستملين **أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس**[6] المؤمنين **إبراهيم ابن المهدي**[1] أمر

---

[1]) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي (94-175هـ/713-791م) بالولاء أبو الحارث أمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، كبير الديار المصرية، قاضي ونائب تحت أمره ومشورته أصله من خراسان مولده في قلقشندة ووفاته في القاهرة، له تصانيف لابن حجر العسقلاني = الزركلي: المصدر الاعلام ، 248/5.

([2]) ابن الجوزي: مناقب بغداد ، 33/9.

([5]) هرون بن سفيان بن راشد أبو سفيان المعروف بملكحة: لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

([6]) ابن الجوزي: مناقب بغداد ، ص33.

[5]) محمد بن عبد الرحمن البيرفي: لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

[6]) أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس: لم أجد له تعريف في المصادر والمراجع التي أطلعت عليها.

قاضيه قتيبة بن زياد أن بسبب بشير بن غياث المريسي[2] من أشياء عددها فيها ذكر القرآن وغيره، وأنه نائب كان في الأندلس أمثال هذه المجالس الشرقية للإملاء[3].

قال **ابن بسام الشنتريني**[4] صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" أهل هذا الأفق الأندلس أبوا إلا متابعة أهل الشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طَنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا يروني كتاباً محكماً ومن مقلديهم الفقيه.

أبو مروان عبد الملك الطني، رحل إلى المشرق، ولما رجع إلى قرطبة وجلس يرى ما احتقبه من العلوم اجتمع إليه في المجلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة وما له عندهم

من الأثرة قال: "إني إذا حضرتني ألف محبرة يكتبني حدثني طوراً وأخبرني نادت بعقولي الأقلام معلنة هذه المفاخر لاقبان من لين"[5].

وقد تقدم من خبراء الفراء أن الإملاء لم يكن مقتصراً على الحديث بل تناول أصناف العلوم الدينية واللسانية، وقد حفظ لنا رسم مستملي.

يعقوب بن السكيت[6]: صاحب كتاب "إصلاح المنطق"، وهو عبد الله بن محمد ابن رستم أبو محمد اللغوي[7].

---

[1]) إبراهيم بن المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي (162-224هـ/779-839م) أبو إسحاق ويقال ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد في ترجمة ولد ونشأ في بغداد وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، وعادت إليه، وأقام فيها أربع سنين = الزركلي: الاعلام ، 59/1.

[2]) بشير غياب المريسي: هو أبو عبد الرحمن بشير بن غياث المريسي ولد حوالي سنة (138هـ/755م) كان أبوه يهودياً فأسلم وصار من موالى آل زيد بن الخطاب = https://ar-m-wikipedia.org.wiki.

([3]) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، 24/14-33.

[4]) ابن بسام الشنتريني: هو أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني= الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، 1997م).

([5]) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ص364.

[6]) يعقوب بن السكيت، هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق صاحب كتاب "إصلاح المنطق" كان يؤدب أولاد المتوكل، توفي سنة 244هـ = ابن خلكان: وفيات الأعيان، 390/6-401.

([7]) حبيب زيات: الوراقة والوراقون في الاسلام ، ص11.

المبحث الثاني

أثر الوِرَاقة على التوسع في إنشاء خزائن الكتب

أسهم الورق في ظهور الكتاب وانتشاره ، وأسهم في التوسع في إنشاء المكتبات ، أو خزائن الكتب.

وإننا فيما أطلعنا عليه من مصادر تاريخ إنشاء أكبر خزانة كتب، وهي بيت الحكمة، الذي أسس في عصر هارون الرشيد كانت طباعة الورق قد دخلت بغداد في عصر الرشيد أيضاً، فإننا نرجح احتمالية وجود هذا الأثر للورق في عملية التوسع في إنشاء دور خزائن الكتب خاصة وما أسهم به الورق من تيسير لعملية النسخ فكثر النسخ وكثرت التآليف[1].

وكان طبيعياً أن تقام الدور لحفظ هذه المؤلفات، ومن هنا كان التوسع في إنشاء مثل هذه الخزائن لحفظ هذه المؤلفات وترتيبها، خشية ضياعها أو تلفها، فكان أن ظهرت دور الكتب أو خزائن الكتب العامة والخاصة[2].

أ- خزائن الكتب العامة:

وعن خزائن الكتب العامة نقول أن مثل هذه الدور والخزائن ارتبط اسمها وذكرها بالخلفاء وأولي الأمر، خاصة ، وما كان لهم من اهتمام بمثل هذه الأمور ، فقد قال القلقشندي في هذا الصدد مشيراً إلى خزائن الكتب "وقد كان للخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام وكمال واعتناء ، حتى حصلوا فيها على العدد وحصلوا على الخزائن الجليلة".

ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن ، إحداها خزائن العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن داهم التتار بغداد وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وأعضت آثارها[3].

وهذه الدار، أو الخزانة التي يشير إليها القلقشندي، عُرفت ببيت الحكمة، أو خزانة الحكمة

([1]) ابن خلدون : المقدمة ، ص276.

([2]) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 537/1.

([3]) القلقشندي: صبح الاعشى ، 537/1.

على حد تعبير كوركيس عواد الذي قال عنها: "إن خزانة الحكمة ببغداد من أعظم خزائن الكتب في الإسلام على اختلاف عصوره ودوله، لأنها حوت من الأسفار العتيقة كل جليل ونفيس، ولم تكن كتبها إلا نتاج ثقافات شرقية وغربية مختلفة، العربية والفارسية والسريانية واليونانية[1].

وقد ذكرت هذه الدار أول ما ذُكرت في عهد الرشيد، إذ ذكر ياقوت الحموي أن علاناً الشعوبي[2] الوراق الناسخ كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والبرامكة، وحول شكل هذه الدار وأوصافها نقول: إنه ليس لدينا نص صريح مباشر يصف الدار ومحتوياتها ومقتنياتها، وكل ما لدينا هو بعض إشارات وردت متناثرة في بعض الروايات والتراجم تعبر عن أنشطة هذه الدار والعاملين بها، ويرجح ناجي معروف[3] أن بيت الحكمة ببغداد يمكن أن يوصف على أنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة على أقسام الدار وتضم مجموعة من خزائن الكتب في كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التي تُنسب في الغالب إلى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزائن المأمون.

وعن تصوره لطبيعة بيت الحكمة يقول رشيد الجميلي: "يبدو أن خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة إلى أقسام كبرى بحسب اللغات، فهذا قسم الكتب الفارسية، وهذا قسم الكتب اليونانية، وهذا قسم الكتب السريانية، وكل قسم يرأسه شخص مشرف عليه ومسئول عنه[4].

وأن بيت الحكمة خصص له مجموعة هائلة من الإداريين والنساخ والورَّاقين ليقوموا فيه والإشراف على عملية النسخ والتوريق والترتيب والتبويب وغير ذلك من الأمور، سواء الإدارية أم المهنية، فقد ذكر الخطيب البغدادي في إطار ترجمته لعبد السلام بن حسين[5] أبي أحمد اللغوي والبصري المتوفي عام 405هـ والذي سكن بغداد وحدث بها أنه كان يتولى ببغداد النظر في دار الكتب وحفظها والإشراف عليها[6]، كما كان بها من يقومون بالنسخ والكتابة والتوريق كعلان

([1]) كوركيس، عواد: خزائن الكتب في العراق، دار المعارف (بغداد، 1948م) ص105.

[2]) علاناً الشعوبي: كان وراقاً ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة = ياقوت الحموي: معجم البلدان ، 191/12.

([3]) معروف، ناجي: أصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة (بيروت، 1975م) ص441.

([4]) الجميلي، رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، الطبعة الأولى، دار الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية (طرابلس، 1982م) ص210.

[5]) عبد السلام بن حسين: لغوي سكن بغداد، وكان أحسن الناس تلاوة للقرآن، سمحاً وجوداً، ولد 299هـ، وتوفي 405هـ = الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، 58/11.

([6]) البغدادي: تاريخ بغداد ، ص58.

الشعوبي.

ومن يقوم بالأمور التنظيمية والإدارية لعبد السلام بن حسين كان بها أيضاً من يقومون بالترجمة من اللغات الأخرى، كيوحنا بن ماسويه[1] الذي ترجم لكثير من الخلفاء كالرشيد، والأمين[2]، والمأمون[3]، والمعتصم[4]، والواثق[5]، والمتوكل[6]، ومن الأنشطة التي شهدتها دار خزانة الحكمة التجليد باعتباره لازمة من اللوازم المتممة لعملية النسخ والكتابة التي كانت تمارس في الدار دليلنا على ذلك ما ذكره ابن النديم من أن أبي الحريش كان يجلد في خزائنه الحكمة للمأمون، هذا ولم يذكر لنا تفاصيل عن طبيعة عمل هذا المجلد. ومن أبرز من عملوا ببيت الحكمة سهل بن هارون[7] المتوفى عام 215هـ والذي قال عنه ابن النديم بأنه صاحب بيت الحكمة[8].

وقد كان سهل بن هارون من القائمين على خدمة الخليفة المأمون، وتشير هذه الروايات – أن بيت الحكمة – شهد الكثير من الأنشطة العلمية والثقافية، كالنقل، والتعريب والابتكار، والنسخ، والتجليد. وعن حركة النسخ داخل بيت الحكمة يقول رشيد الجميلي[9]: "لم تكن حركة النسخ داخل بيت الحكمة بأقل أهمية من حركة الترجمة ذاتها، بل هما عمليتان متلازمتان تكمل إحداهما

---

[1]) يوحنا بن ماسويه: كان طبيباً بارزاً، وكان من رعاة حركة الترجمة في القرن الثالث الهجري، ترجم الكثير من الكتب الطبية، ونقل الكثير من المخطوطات اليونانية من القسطنطينية إلى بغداد، وكان الطبيب الأول لكثير من الخلفاء = رشيد الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي ، ص156، 157.

[2]) الأمين، ولي الرشيد ابنه الأمين العهد عام 170هـ وهو العام الذي جعله فيه ولي المغرب ولم يكن الأمين يزيد يومئذ على عشر سنين = دكتور حسن أحمد محمود وزملائه الدكتور أحمد إبراهيم الشريف: كتاب العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي، ص111.

([3]) البغدادي: تاريخ بغداد ، ص58.

[4]) المعتصم بالله ابن هارون الرشيد، ثامن الخلفاء العباسيين، توفي بسامراء سنة 227هـ، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر، ولد سنة 179هـ وهو الثامن من ولد العباس وتوفي عن ثمانية بنين وبنات = السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص267–272.

[5]) الواثق بالله هارون الواثق بالله (200–232هـ/815–847م) ابن محمد المعتصم بالله من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولد ببغدد بخلافة بعد وفاة أبيه سنة 277هـ، مات في سامراء = الزركلي: الاعلام ، 62/8، 63.

[6]) المتوكل هو أبو الفضل بن جعفر بن المعتصم، بويع له سنة 232هـ وقتل في شوال سنة 247هـ وله إحدى وأربعين سنة = الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ص7.

[7]) سهل بن هارون بن راهبون (رهنون) (215هـ/830م) كاتب بليغ فارسي الأصل، اشتهر في البصر واتصل بخدمة هارون الرشيد ثم خدمه المأمون فولاه رياسة "خزانة الحكمة" بعدما أحل محل يحيى البرمكي في بغداد = الزركلي: الاعلام ، 143/3.

([8]) ابن النديم: الفهرست، ص14–15.

([9]) الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي ، ص214.

الأخرى، ولم تكن عملية النسخ هذه كما تبدو لأول وهلة هي عملية سهلة وتقليدية، بل العكس من ذلك، فقد كانت مهنة محترمة، ويجب على من يريد ممارستها أن تتوافر فيه صفات كثيرة منها: جودة الخط، وحسن السيرة والسلوك، والالتزام التام بالأسس التي حدثت للنساخين في نسخهم".

ولقد كان طبيعياً أن يمارس التجليد في بيت الحكمة استكمالاً لعملية النسخ، وعن عملية التجليد يقول رشيد الجميلي: "وبعد عملية النسخ تأتي المرحلة الثالثة من مراحل إنجاز الكتاب المترجم أو الذي تم تأليفه في هذا العهد، وأعني بها مرحلة التجليد، حيث اهتم العاملون ببيت الحكمة بتجليد الكتب التي يتم نسخها فيها، وذلك بقصد المحافظة على الكتاب وإعطائه منظراً جميلاً، ولكن ترى إلى أي مدى ظلت هذه الدار "بيت الحكمة" تمارس أنشطتها من نسخ وترجمة وتجليد وظلت هذه الدار منهلاً للعلم والثقافة"[1].

لكل من ما حاجة في أي منهما أو حول هذا المعنى يقول دكتور أيمن فؤاد سيد: "فقدت مكتبة بيت الحكمة دورها الأكاديمي بعد انتقال مقر الخلافة من بغداد إلى سامراء زمن المعتصم، وأصبح يُطلق عليها خزانة المأمون، وظل العلماء يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجري، حيث انعدم ذكرها عند المؤلفين المتأخرين، وأضيفت في أغلب الظن إلى إحدى مكتبات الخلفاء تقاسمها سلاطين السلاجقة بعد ذلك، وعرفت كتبها طريقها إلى مكتبات جديدة"، ورغم احترامنا لرؤية دكتور أيمن فؤاد سيد، إلا أن القلقشندي يذكر ما قد يتعارض مع ذلك، ففي حين يذكر دكتور أيمن فؤاد أن خزانة الحكمة، أو بيت الحكمة قد ظل العلماء يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث انعدم ذكرها عند المؤلفين المتأخرين، يشير القلقشندي إلى أن هذه الدار ظلت قائمة بما فيها من كتب حتى هاجم المغول بغداد وأغاروا على هذه الدار فجعلوها أثراً بعد عين.

ولم يقتصر دور الكتب العامة على بغداد فقط، بل انتشرت في شتى أنحاء الخلافة[2]، فقد ذكر ابن القفطي في ثنايا ترجمته لأبي العلاء المعري[3] ما يشير إلى وجود خزانة كتب عامة في طرابلس الشام، إذ قال: "لما كبر أبو العلاء ووصل إلى سن الطلب أخذ العربية، وطمحت نفسه إلى الاستكثار من ذلك، فرحل إلى طرابلس ليجد بها غايته خاصة لكثرة ما بها من خزائن، أو دور كتب. وكما يتضح من الرواية، فإن بعض هذه الدور كانت عامة أنشأها الموسرون والمقتدرون،

([1]) هالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي ، ص229.

([2]) القلقشندي: صبح الاعشى ، ص527.

[3]) أبي العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، وهو من أهل معرة النعمان، ولد 363هـ، وكان ضريراً زاهداً لا يأكل اللحم، ولا يلبس إلا الخشن من الثياب، وكان حسن الشعر، توفي 449هـ = القفطي: انباء الرواة علي آنباء النحاة ، ص81، 82.

وكذلك وجدت خزائن كتب عامة بالبصرة، أشار لها كوركيس عواد فذكر لنا أبرز هذه المكتبات والخزائن العامة والخاصة هكذا واكبت تصنيع الورق ونشره في بغداد حركة إنشاء المكتبات العامة، وكانت دار الحكمة أول خطوة على طريق التوسع في إنشائها.

ب- دور الكتب الخاصة:

علاوة على وجود دور الكتب الخاصة وجدت أيضاً دور الكتب العامة، فقد ذكر ابن النديم[1] أن أبا حسان بن عثمان الزيادي[2] المتوفى 243هـ كان قاضياً أديباً ناسباً (أي عالماً بالأنساب)، جواداً كريماً، يعمل الكتب وتعمل له، وكانت له خزانة خاصة كبيرة، بمعنى أنه كان يمتلك مكتبة خاصة به، كما ذكر ابن النديم أيضاً أنه كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين[3]، يُعرف بابن أبي بعرة كان جماعة للكتب، وله خزانة حسنة لم أرَ لأحد مثلها، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، كذلك ذكر عن الفتح بن خاقان[4] أنه كان له خزانة لم ير أعظم منها كثيراً وحسناً وكان يحضر إلى داره فصحاء الأعراب وعلماء كوفيين وبصريين.

كما ذكر الجاحظ[5] أن له خزانة كتب يحيى، وفي بيت مدارسة كتاب إلا وله ثلاث نسخ، وهذه الروايات تشير إلى انتشار خزائن ودور الكتب الخاصة التي كانت أيضاً مستقراً للعلماء والأدباء والفصحاء من أصدقاء صاحب الدار، حيث كانت ملتقى لهؤلاء للمناقشة والبحث والاطلاع، شأنها في ذلك شأن حوانيت الوِرَاقة، وهو ما أشار إليه ابن النديم عند حديثه عن مكتبة الفتح بن خاقان الخاصة إذ قال: "كان يحضر دار فصحاء الأعراب وعلماء كوفيين وبصريين، وممن اشتهر بحب الكتب والسعي وراء جمعها. ويشير ياقوت الحموي أنه انفق على العلم وجمع

([1]) ابن النديم: الفهرست ، ص6، 16، 160، 169.

[2]) أبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي: هو أبو حسان، كان قاضياً فاضلاً أديباً ناسباً جواداً كريماً يعمل الكتب ويعمل له خزانة حسنة، مات هو والحسن بن علي بن أب الجعد في وقت واحد سنة ثلاث وأربعين ومائتين وله تسع وثمانون سنة وأشهر وله من الكتب "كتاب المغازي" = ابن النديم: الفهرست، 123/3.

[3]) محمد بن الحسين، ولد بواسط ونشأ بالكوفة، جالس أبا حنيفة وأخذ عنه فعلت له الرأي قدم بغداد خرج إلى الرقة، فولاه الرشيد القضاء ثم عزله، مات بالري = ابن النديم: الفهرست ، 257/6.

[4]) الفتح بن خاقان: تركي الأصل، كان قريب الصلة بالمتوكل، وله نصيب كبير من العلم والأدب = المسعودي: مروج الذهب، 86/4.

([5]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، الطبعة الثالثة (بيروت، 1969م) ص60.

الكتب ثلاثين ألف درهم، وهكذا دور الكتب الخاصة مستقراً لأهل العلم والأدب[1].

([1]) الحموي: معجم الآباء ، 153/14، 154.

المبحث الثالث

أثر ظهور الورق على عملية الترجمة

لقد كانت لصناعة الورق نقلة حضارية في تطور حركة الترجمة وتسهيلها، وازدهار الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

فمن المعروف أن كثرة الورق وتداوله وسهولة صناعته واستعماله، وخفة وزنه وسهولة حمله ساهم بشكل فعال وكبير في نشاط حركة الترجمة وخاصةً أن ديننا الحنيف حث على العلم والتعلم، كما أن الرسول (ﷺ) كان يقايض في الأسرى بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة, من هذا المنطلق ترعرعت الكتابة ووصل الأمر من تشجيع الخلفاء أن من يأتي بمخطوط يأخذ وزنه ذهباً فما كان من العلماء إلا أن ينشطوا على نقل ونسخ الكتب والمخطوطات، فترتب على ذلك نشاط حركة الترجمة وتطورها وازدهارها بشكل ملحوظ[1].

أما في العصر العباسي، فكانت حركة الترجمة في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين يعتبر أول خليفة عباسي قام على رعاية حركة الترجمة والنقل التي لم تنتعش وتنتشر وتتوسع إلا عند مجيء العباسيين الذين حكموا العالم الإسلامي منذ عام (132هـ إلى 656هـ/750 إلى 1258م)، وتوسعت بشكل هائل واستمرت ما يقرب من مائة وخمسين عاماً فكانت فترة ازدهار ونشاط في ترجمة علوم اليونان والفرس وغيرهم إلى العربية[2].

ومن الظواهر الثقافية التي تأثرت بظهور الورق والوِرَاقة وجدت عملية الترجمة التي شهدتها الخلافة العباسية في أزهى عصورها، والخليفة أبو جعفر المنصور الذي بعث إلى ملك الروم يسأله أن يبعث إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات[3].

وتشير بعض المصادر إلى أن أول من نقل من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية في الإسلام هو خالد بن يزيد بن معاوية (ت: 85هـ-704م) الذي عُرف حكيم آل مروان، كما عُرف عنه محبته للعلوم، وكان أول من نقل كتباً مخصصة من اليونانية إلى العربية، وكان هذا أول نقل في الإسلام. وعنه قال رشيد الجميلي أن أشهر من اهتم بحركة الترجمة في هذا القرن (الأول

([1]) علي، عصام الدين محمد: بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة، دار المعارف (الإسكندرية، 1956م) ص10.

([2]) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1989م) 29/3.

([3]) حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جامعة إسطنبول (د.ت) 679/1.

الهجري) كان خالد بن يزيد الذي يعتبر أول شخصية في الإسلام، يأمر بترجمة كتب الطب والكيمياء، وكان أول من أضاء شعلة العلم عند العرب، وقد كان أحد الذين بحثوا في العلوم في القرن الأول الهجري، وأن تحمسه للعلم والمعرفة دفعه للحصول على مصنفات الإغريق والسريان[1].

أما في العصر العباسي فقد جاء بعد المنصور خلفاء عنوا بأمر العلوم والآداب والثقافة، والنقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، ومن هؤلاء الخليفة هارون الرشيد، والخليفة المأمون. فقد وصلت الحركة من التطور ما لم تصل إليه من قبل، وقد كان للرعاية التي أولاها الرشيد لهذه الحركة دوراً مهماً في جعل الترجمة تبلغ ما بلغته في هذا الوقت، حيث اشتهر بحبه للعلوم والأدب والفنون، كذلك اهتم اهتماماً كبيراً بالقائمين عليها وكان يزور العلماء ويقربهم له.

ويعتبر الرشيد من أشهر الخلفاء[2] وأكثرهم ذكراً حتى في المصادر الأجنبية، وسيرته معروفة عند أهل التاريخ.

حيث بعث الرشيد إلى ملك الروم يسأله استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي، وبعث له المترجمين، كما سأله إنفاذ ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع وأخرج المأمون جماعة لذلك منهم الحجاج بن مطر[3]، وابن البطريق[4].

وسلما صاحب بيت الحكمة فأخذوا ما اختاروا، وحملوا إليهم فأمرهم بنقله، وكان يوحنا بن ماسويه ممن ينفذ إلى الروم، وكان محمد(5) وأحمد(1) الحسن بنو شاكر[2] المنجم ممن عني

---

(1) الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي ، ص63، 64.

(2) السيوطي، جلال الدين: تاريخ الخلفاء، دار الفجر للتراث (القاهرة، 1999م) ص226.

3) الحجاج بن مطر: هو الحجاج يوسف بن مطر، عالم رياضيات عربي، عاش 786هـ و833هـ، وهو أول من ترجم كتاب "العناصر" لأقليدس، قام بترجمة ثانية محسنة للكتاب للخليفة العباسي أبو العباس عبد الله المأمون، وكذلك كتاب بطليموس = شبكة المعلومات الدولية، الموسوعة الحرة.

4) ابن البطريق، سعد بن البطريق ، مسيحي، (263–328هـ/877–940م)، طبيب مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركاً في الإسكندرية، وسمي آنتيشيوس سنة 321هـ، وهو أول الأباضية المذهب وأول من تولى منهم استدباراً أحمد بن سعيد المتوفي سنة 1196هـ = الزركلي: الاعلام، 92/3–93.

5) محمد وأحمد والحسن بنو شاكر: رياضيون وفلكيون ومشتغلون بالحيل، أخوة شعوب إيرانية من خراسان، عاشوا في القرن التاسع الميلادي، هم أبناء موسى بن شاكر.

بإخراج الكتب، وكان قسطاً بن لوقا البعلبكي[3]، قد حمل معه شيئاً فنقل له وممن عملوا بالترجمة[4].

حنين بن إسحق العبادي[5]، الطبيب المشهور الذي ولد عام 215هـ، وتوفي 298هـ، وكان إمام وقته في صناعة الطب، وكان يعرف لغة اليونان معرفة تامة، وهو الذي عرب كتاب أقليدس ونقله من اللغة اليونانية إلى العربية، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب والعلوم؛ لعدم المعرفة باللسان اليوناني[6].

وعن الترجمة في العصر العباسي، قال دكتور ناجي معروف: "ظهرت الترجمة في العصر العباسي وكانت تتم في أماكن مختلفة، ومنها بيوت الحكمة العامة والخاصة، ودور العلم والمكتبات الخاصة، والجامعات في البلاد الإسلامية، والمساجد، والخزائن، والمراصد الفلكية، والربط والمستشفيات والمدارس كافة غير أن هذه المعاهد لم تكن للتأليف و المطالعة والانتساخ و التوريق ، بالإضافة إلى خزن الكتب المترجمة و المصنفة و المصورات الجغرافية الفلكية ، وكل هذه النشاطات تدك علي الأعمال التي قام بها المسلمون خلال هذه العصور " ([7]).

يرى بعض المؤرخين ان العلاقة بين الورق و نشاط حركة الترجمة. وأن اكتشاف الورق

---

[1]) أحمد بن موسى شاكر عرف أبو جعفر (ت: سنة 259هـ/783م) تفوق على إخوته في علم الهندسة = محمد صادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1977م) ص87؛ كذلك القفطي: آنباء الرواة علي ابناء النحاه ، ص278.

[2]) أحمد موسى شاكر (803-873هـ) كان يوصف بأعجوبة العائلة تميز بالحماس، حيث تناول الميكانيكا = محمد صادق عفيفي: المرجع السابق، ص38؛ كذلك ابن خلكان : وفيات العيان ، 505/2.
الحسن بن موسى شاكر، هو الأصغر (810-873هـ)، برع في الهندسة والجغرافيا = كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين (بيروت، 1993م) ص315.

[3]) قسطا بن لوقا البعلبكي: كان مقدماً في صناعة الطب، وترجم قطعة من الكتب القديمة، وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب، الفلسفة، الهندسة، الأعداد، الموسيقى. توفي في أرمينيا عند بعض ملوكها = ابن النديم: الفهرست، 353/7.

([4]) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص681.

[5]) حنين بن إسحق العبادي أبو زيد (194-290هـ/810-873م)، طبيب، مؤرخ، مترجم، كان أبوه صيدلانياً من أهل الحيرة (في العراق) وسافر إلى البصرة فأخذ العربية وانتقل إلى بغداد، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتابه يخطوها بالحروف الكبيرة. سافر وعاصر تسعة من الخلفاء = الزركلي: الاعلام ، 287/2.

([6]) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة العربية (بيروت، 1987م) 139/4-142.

[7]) معروف ، ناجي : أصالة الحضارة العربية ، الطبعة الثالثة ، دار الثقفة (بيروت – 1975م)، ص 440.

تسرع بدقة وتيسير حركة النقل من العلوم الآخرى ، في حين يرى البعض الاخر من أن حركة الترجمة ونشاطها هو من ساهم في اختراع الورق الضرورة الحتمية والمصاحب عنده الحركة([1]) .
ولكن اختلفت مع من برى أن تشؤ الوراقة بسبب الترجمة بل أن الورق والوراقة اكتشاف حضاري ساهم بعملية الترجمة و النقل و سهل وصول المخطوطات وانتشارها بين الناس المتعلمين ، هذه العوامل مكملة لبعض لا يمكن الفصل بينهم.

إن الدور الذي قامت به المدرسة في عملية النقل وازدهار حركة الترجمة والنقل؛ من العوامل المهمة التي قامت الحضارة العربية الإسلامية والتطور الفكري والتقدم العلمي الذي اتسم به تاريخ الحضارة الإسلامية، كذلك المترجمون الذين أسهموا في حركة الترجمة من العلماء ومن جنسيات وأديان مختلفة كان هدفهم واحد هو خدمة العلم ونقله إلى أوسع مجال ممكن، ونذكر فيما يلي بعض المدارس، كذلك بعض النقلة والمترجمين الذين كان لهم دور كبير في هذا المجال([2]).

أ- مدرسة الإسكندرية:

لقد كان لمدرسة الإسكندرية[3]الأثر المهم في قيام حركة الترجمة ، ويتجلى لنا ذلك الأثر بصفة خاصة عند بداية العصر الأموي، وكانت المدرسة وعلماؤها في طليعة حركة نقل التراث اليوناني إلى العربي، وساعدت أحداث الفتح الإسلامي على جهود علماء الإسكندرية إلى أقصى حد خلال العصر الأموي وكانت مركزاً هاماً للحركة الفكرية وحافظات على تراث اليونان، واستطاعت أن تتقدم بها خطوات كبيرة إلى الأمام في بعض النواحي.
وكانت الإسكندرية تستهوي العلماء من أماكن بعيدة ، وأصبحت منارة تنبعث منها العلوم[4] والفلسفة إلى سائر أنحاء الشرق ، وإذا كانت مدرسة الإسكندرية قد لعبت دورها المباشر في إيقاظ الحركة العلمية في العصر الأموي ، يمكن القول بأن هناك من قال إنه لم يجد لها الأثر ذاته على حركة الترجمة في تاريخ الدولة العباسية.

وقد عرف العرب عن طريق مدرسة الإسكندرية أشهر علماء اليونان، وأطلقوا على مصنفاتهم كل حسب ما اشتهر به، فكان ذلك من أسباب النهضة الجديدة، حيث عرفوا جالينوس[5]

---

[1]) الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي ، ص53.
[2]) معروف : أحالة الحضارة العربية ، ص 440.
[3])الإسكندرية: يطلق عليها أحياناً أهم ثغور مصر وهي الآن من أهم المراكز التجارية على البحر المتوسط، وقد شيد هذه المدينة الإسكندر الأكبر عام 332ق.م.ن وظلت مدينة زاهرة وعظيمة.

([4]) الهاشمي، رحيم كاظم وزميله: الحضارة العربية الإسلامية، دار صادر (بيروت، د.ت) ص106.
[5]) جالينوس: فيلسوف يوناني، يعتبر أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة، تطور فروع علمه وتشريح الأعضاء، الميلاد 130 م بيرغموت – تركيا، الوفاة 216م = شبكة المعلومات الدولية الموسوعة الحرة.

في الطب، وقليدس في الهندسة ، وأرسطوطاليس[1] في الفلسفة، وبطليموس[2] في الفلك[3].

ب- مدرسة جنديسابور:

تقع مدرسة جنديسابور في الجنوب الشرقي من أرض فارس، وقد بناها سابور بن آردشير (241م-272م) بينما هزم الإمبراطور الروماني فالبيرون سنة 258م، وسخر لبنائها بعض الأسرى الذين لديهم قدرة فنية، وسمح لهم بممارسة عقائدهم المسيحية، فدخلتها المسيحية منذ تأسيسها وصارت هذه المدرسة ملتقى العديد من الثقافات وجاء إليها علماء وأساتذة وأطباء من أماكن مختلفة[4].

وهي مدرسة ذات أهمية بالغة في نقل وتدريس الطب وسائر علوم الأوائل، وهي المدرسة التي ازدهرت في القرن السادس في أيام الملك العادل كسرى شروان – حكم فارس من سنة (531م) إلى (579م) بفضل العلماء الأساطرة الذين طردوا من الرها آنذاك وبدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة في أوائل حكم العباسيين[5].

لقد كان لاتصال الخلفاء العباسيين بمدرسة جنديسابور، واطبائها أثر عظيم في تقدم الطب العربي، وأول من اتصل منهم بهذه المدرسة كان الخليفة الثاني "أبو جعفر المنصور" (136-158هـ/753-774م) ذلك في سنة (148هـ/765م)، عندما ألمَّ به ألم في معدته وعجز أطباء الخلافة عن معالجته، فاستدعى رئيس الأطباء في مدرسة "جنديسابور" "جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع" الذي استطاع معالجته ، ونقل الأطباء والعلماء إلى المدرسة في مدينة بغداد[6].

وبذلك تطورت العلاقة بين مدرسة جنديسابور وبين خلفاء بني العباس، وبخاصة في زمن

---

[1]) أرسطوطاليس: فيلسوف يوناني تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، تغطي كتاباته مجالات عدة منها الفيزياء والشعر والموسيقى والمنطق، ولد أرسطو في عام 384 ق.م. عاش حتى 322 ق.م. في ستاجرا وهي مستعمرة يونانية، فيلسوف يوناني قديم = شبكة المعلومات الدولية الموسوعة الحرة.

[2]) بطليموس، يوناني من العلماء باللغة والآداب، ولد ونشأ بطليموس في الأندلس وانتقل إلى بلنسية فسكنها وتوفى بها من كتبه: "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" لابن قتيبة = خير الدين الزركلي: الاعلام ، 123/4.

(3) عبد الرحمن، حكمت نجيب: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل (الموصل، 1977م) ص22.

(4) الديبان، أحمد بن محمد بن عبد الله: حنين بن إسحاق، المجلد الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى (الرياض، 1993م) ص27.

(5) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، الموسوعة العربية للنشر، بيروت، ص7.

(6) الشطشاط، علي حسين: تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن 3-97هـ/9-13م)، المجلد الأول، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1994م)، ص109.

الخليفتين المنصور والرشيد، وكانت العلاقة الطيبة بين الطرفين تحتل المرتبة الأولى في أهمية هذه المدرسة إضافة إلى كونها البوتقة التي انصهرت فيها الأفكار اليونانية الهندسية، إضافة إلى الأفكار الفارسية[1].

وظلت مدرسة جنديسابور تؤدي عملها في الإسلام كما كانت في عهد الفرس، وازداد اتصالها بالمسلمين في العهد العباسي وقد اشتهر في هذه في العصر العباسي جورجيس[2] بن بختيشوع طبيب المنصور، وابنه بختيشوع طبيب الرشيد، وجبرائيل[3] بن بختيشوع طبيب المأمون وغيرهم[4].

ج- مدرسة حران:

هي مدرسة شمال العراق تقع بين الرهاء ورأس العين وهي قديمة، عاصرت اليونان والرومان، والنصرانية والإسلام. وفي عهد الإسكندر سكن عدد كبير من المقدونيين هذا الجزء الشمالي للعراق[5].

تعتبر مدرسة حران الحلقة الثانية والأخيرة في عملية انتقال مجلس التعليم بعد مدرسة أنطاكية، وكانت مركزاً هاماً للثقافة اليونانية في المنطقة التي تكلم أهلها اللغة السريانية[6]. كما كانت مركزاً للتبادل والاتصال الثقافي، مما يدل على ما لها من أهمية قديمة أنَّ آخر الخلفاء الأمويين وهو مروان[7] الثاني نقل مقر خلافته إلى هذه المدينة وكان أهلها يعبدون الكواكب حتى

([1]) متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، الطبعة الرابعة، دار صادر (بيروت، 1967م) ص65.

[2]) جورجيس بن بختيشوع (152هـ-769م) طبيب سرياني الأصل، كان رئيس الأطباء في جنديسابور واعتل المنصور العباسي فقدم بغداد (148هـ) فأحبه المنصور اعتل جورجيس وطلب الأدوية إلى جنديسابور فعلاً سنة (152هـ) ومات فيها = نقل عن الزركلي: الاعلام ، 16/2.

[3]) جبرائيل بن بختيشوع، نحو (453هـ/1061م) هو عبد الله بن جبرائيل بن عبد الله بن بخيتشوع أبو سعيد طبيب باحث من أهل ميافارقين، له تصانيف منها "مناقش الأطباء"، و"الروضة في الطب"، و"صانع الحيوان وخواصها ومناقع أعضائها"، وعقد الجهان في طبائع الإنسان والحيوان في معهد المخطوطات = نقل الزركلي، الاعلام ، 192/4.

([4]) أمين، أحمد: ضحى الإسلام، مكتبة الأسرة (القاهرة، 1997م) 331/1.

([5]) أحمد أمين: ضحى الاسلام ، ص76-77.

([6]) ياقوت الحموي: معجم الاباء ، ص228.

[7]) مروان الثاني، أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم، ولد سنة (72هـ-691م) توفي (132هـ-799م) = الجميلي.

غدوا نتيجة تأملاتهم وملاحظة السماء أساطين الدراسات الفلكية. والواقع أنَّ علم الفلك هو أحد العلوم الرئيسية التي اشتمل عليها منهاج هذه المدرسة[1].

كما اهتمت هذه المدرسة بالحضارة العربية الإسلامية العديد من العلماء والتراجمة العرب أمثال ثابت بن قرة الحراني وابنه سنان[2] الذين أسهموا بترجماتهم ومؤلفاتهم[3].

أشهر المترجمين:

لقد لعب المترجمين دور بارزاً في العلمية والفكرية والأدبية في تلك الحقبة حيث قاموا بنقل علوم الشعوب الاخرى إلى جانب النشر فقد مارسوا مهنة الناشر بالمفهوم الحديث بنشر الترجمة والحصول علي حق نسخها وتوزيعها وتسويقها والدعاية لها .

والمتتبع للتاريخ لا يجد لفظ المترجمين بالمعني الصحيح وأسماء خاصة بهم أو التميز بين المترجمين والنساخ ولم تكن ذا أهمية عند كتاب التاريخ الاسلامي وقد برز بعض المترجمين الذين ساهموا بدور كبير في حركة النقل منهم :

1- ثابت بن قرة الحراني:

هو طبيب ومترجم وناقل، كان من أشهر المترجمين الذين ظهروا في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وكان يتميز بدقة اللغات، ويحسن اللغة السريانية والعبرية واليونانية، علاوة على تمكنه من اللغة العربية. وبالتالي أشهر من اعتبر في مدرسة حران، وكان يتبع طريقة الترجمة بالمعنى، وهي أجود وأدق من طريقة الترجمة الحرفية، وهذا زاد من قيمة التراجم التي قام بها ثابت بن قرة[4].

ومن أشهر المؤلفات التي ترجمها المؤلفات الفلكية والرياضية، وكانت ترجمة واضحة وسهلة، ومما يدل على سعة علمه وتبحره أنه قام بإعادة بعض الترجمات السابقة، ووضع لها شروحاً وتفاسير، وكان كثيراً ما يقوم بتدوين كثير من الهوامش أو المذكرات التي تتعلق بعلمي

([1]) متز: الحضارة الاسلامية ، ص70.

([2]) (*) سنان ثابت بن قرة الحراني، أبو سعيد (331هـ/943م) طبيب عالم أصله من حران ونشأ ببغداد، رفيع الجزلة عند المقتدر العباسي وجعله رئيساً للأطباء، توفي في بغداد ومن رسائله "رسالة في النجوم" = الزركلي: الاعلام ، 141/3.

([3]) الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي ، ص121.

([4]) الشطشاط، علي حسين: الطبيب والمترجم والناقل ثابت بن قرة الحراني، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1990م) ص79.

الفلك والهندسة، وكان له إضافات جديدة تسهل الفهم على الباحثين والدارسين، وقد أشار أحد الأساتذة في ترجمة ثابت بن قرة بمكانته ووصفه بأفضل النقلة والمترجمين، وذكر أنه واحد من أربعة نقلة كبار اشتهروا في الدولة الإسلامية في الترجمة والنقل[1].

أشهر الكتب المترجمة:

- كتاب "الكيموس" لجاليونس.
- كتاب بطليموس "جغرافيا في المعمورة"، و"صفة الأرض" وهو ثمان مقالات.
- كتاب "المخروطات" لأبولونيوس، وهو يتكون من ثمان مقالات، وقد ترجم منه الثلاثة الأخيرة فقط.
- أصلح كتاب أقليدس ونقله إلى العربية.
- كتاب "الدوائر المتماسة".

وليست هذه كل مؤلفاته، بل كانت له العديد من الترجمات والاصلاحات في بعض الكتب المنقولة، وعلق عليها وشرحها[2].

2- الحجاج بن يوسف بن مطر:

وهو من المترجمين والنقلة الذين أسهموا في عملية ازدهار حركة الترجمة والنقل في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن الحجاج قد نقل المأمون ومن نقلة كتاب أقليدس، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني.

كتاب أقليدس في أصول الهندسة تم نقله مرتين، الأولى في زمن الرشيد وعرفت بالنقلة "الهارونية"، والثانية في زمن المأمون، وعُرفت بالنقلة "المأمونية". وتعتر النقلة الثانية أكثر دقة، وكان يعتمد عليها علماء العرب في الرياضيات والفلك، وذلك في استخدامه عاملاً مساعداً في أبحاثهم الهندسية والفلكية، كذلك من التراجم التي قام بها الحجاج بن يوسف ترجمة كتاب المجسطي البطليموس، حيث ترجمه ونقله إلى العربية[3].

3- عبد الله بن المقفع:

([1]) الشطشاط ، الطبيب والمترجم ، ص 79 .

([2]) الشطشاط ، الطبيب و المترجم ، ص 79.

([3]) ابن أبي أصيبعة: عيون الأبناء في طبقات الاطباء ، 1/205-206.

اسمه بالفارسية روزبه، ويُكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد، وسبب تسميته المقفع ذكروا أن الحجاج بن يوسف الثقفي ضربه بالبصرة في مال احتجبه من مال السلطان، ضرباً مبرحاً فتقفعت يده، فعُرف بعد ذلك بالمقفع، وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة، كاتباً وشاعراً، فصيحاً، وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مصطلحاً باللغتين فصيح بهما، وقد نقل عدة كتب فارسية، منها كتاب "خدانيامة في السير"، كتاب "كليلة ودمنة"، كتاب "التاج في سيرة أنوشروان"، كتاب "الأدب الكبير"، كتاب "الأدب الصغير"، كتاب "اليتيمة في رسائل"، كتاب "رسالته في الصحابة" وغيرها من الكتب التي تدل على جهود هذا الناقل والمترجم وآثاره الواضحة في تقدم الحضارة العربية الإسلامية[1].

ويعتبر عبد الله بن المقفع من أبرز النقلة عن الفارسية في زمن المنصور، وقد حظي بشهرة واسعة في علم المنطق دراسة وترجمة، حيث ذكروا أنه ترجم كتب أرسطوطاليس ومن خلال تتبع سيرته يتضح فضله الكبير على الترجمة والنقل، فهو الأديب والكاتب والمترجم والناقل، ولمساته واضحة على تقدم الحضارة العربية الإسلامية.

4- إسحاق بن حنين:

هو إسحاق بن حنين بن إسحاق أبو يعقوب بن أبي زيد العبادي النصراني، كان في منزلة أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغات اليونانية والسريانية، وكان فصيحاً يزيد على أبيه في ذلك، وقد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء، وكان منقطعاً في آخر أيامه إلى القاسم بن عبد الله، وخصيصاً به، مقدماً عنده، يفشي إليه أسراره، توفي في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين ومائتين.

أشهر كتبه المترجمة:

- كتاب الأدوية المفردة.
- كتاب تاريخ الأطباء[2].

وإذ نكتفي بهذا القدر من المترجمين هنا، فذلك لا يعني عدم وجود غيرهم، فقد كان هناك عدد كبير من المترجمين والنقلة الذين كان لهم دور بارز في تاريخ حركة الترجمة والنقل، قد تركوا بصمات واضحة في طريق الحضارة العربية الإسلامية.

([1]) ابن النديم : الفهرست ، ص132.

([2]) القفطي، جمال الدين أبي الحسن: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، دار الآثار (القاهرة، 1326هـ) ص56.

الخاتمة

قد اتضح من خلال دراسة الموضوع ، أن الورق لعب دوراً بارزاً في الحضارة الإسلامية لأنه أعطى العلوم والمعارف والآداب بعد أن كانت حبيسة مواد الكتابة البدائية القديمة كالجود والحجارة ، وعاصرت في الاستعمال.

والورق هو الذي حفظ العلوم التي تناقلتها الأجيال لتضيء الفكر الإنساني ، ولتحمل مشعل الحضارة الإسلامية في الدولة الإسلامية ، كذلك أدَّى الورَّاقون الباحثون في صناعة الورق دوراً بارزاً في ممارسة النسخ والتآليف ، وحققوا الأهداف من خلال صناعة الورق.

وصلت الدراسة إلى عدة استنتاجات وهي:

- أن الورق في العصر الجاهلي لم يكن موجوداً بل كانت الكتابة على الجلود والحجارة والعسب والأكتاف التي استخدمه العرب في صدر الإسلام حسب من طبيعة ظروفهم ومعيشتهم ، كذلك عرف المهارق والرق عن طريق تبادلهم التجاري مع الدول المجاورة كالفرس والفتوحات الإسلامية مما أدى إلى للحصول على ورق البردي من مصر والكتابة عليه.
- أن العصر العباسي شهد صناعة الورق بعد آي خلفاء وعلى الرغم من سيادة الورق على باقي مواد الكتابة واتساع دائرة تصنيعه فقد ظلت استخداماته في حدود ضيقة.
- أن الوِرَاقة ظهرت في العصر العباسي كاستجابة لبعض التحديات في الدولة العباسية بعد كثرة الفتوحات واتساع الدولة، وبدت الحاجة لاستخدام ورق أقل تكلفة في الكتابات الإدارية .
- أن الوِرَاقة مهنة كان لها أكثر من وجه ، كالقيام بالنسخ والبيع ، ومن يقوم بهذا العمل يجب أن تتوفر فيه بعض السمات والشروط ، وتتوفر له كذلك الآلات والأدوات.
- أن ظهور الوِرَاقة والورَّاقين لعب دوراً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فقد ظهرت أسواق وحوانيت الوِرَاقة والبيع ، وكثر النسخ ، وتم التوسع في إنشاء المكتبات الخاصة والعامة.

- أن الوِرَاقة لم تكن تحديث للحياة السياسة للمجتمع على سبيل المثال في عهد الخليفة هارون الرشيد بل شهدت الوِرَاقة ازدهاراً في حين تأثرت بما كان بين الأمين والمأمون من خلاف فشهدت تدهوراً.

مصادر البحث ومراجعه

1- المصادر المخطوطة:

- عبد الرحمن الصايغ.
- **مخطوط صناعة الكتابة**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، محطوط رقم 14.

ب- المصادر المطبوعة:

- القرآن الكريم
- الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه.
  - العقد الفريد، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الجزء الرابع، مكتبة المعارف (الرياض، 1983م).
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت: 668هـ/1269م).
  - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة العربية (بيروت، 1987م).
- الأصبهاني، علي بن الحسين (ت: 356هـ).
  - كتاب الأغاني، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني (بيروت، 1992م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/892م).
  - فتوح البلدان، تحقيق ونشر د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الثالث (د.م، 1965).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت: 429هـ/1038م).
  - خاصّ الخاصّ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة (القاهرة، 1809م).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ/869م).
  - الحيوان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1965م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/1201م).
  - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992م) الأجزاء، 6، 7، 10.
  - مناقب بغداد، تحقيق محمد زينهم عزب، دار غريب (القاهرة، د.ت).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463هـ/1070م).
  - تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها لعلماء من غير أهلها وواريديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2001م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/1408م).
  - المقدمة، ضبط المتن ووضع الهوامش والفهارس، خليل شحاته، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، 2001م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (ت: 681هـ/1282م)
  - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، الجزء الأول (بيروت، 1968م).
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الكاتب الواقدي (ت: 230هـ/844م).
  - الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت، 1958م).
- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: 563هـ/1162م).
  - الأنساب، الطبعة الأولى، دار الجنان، الجزء الخامس (بيروت، 1988م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/1505م).
  - تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز (الرياض، 2007م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م).
  - تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، الجزء الأول (بيروت، 1987م).
- ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت: 365هـ/978م).
  - البلدان، طبع في مدينة ليدن، مطابع بريل (ليدن، 1885م).

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن بن علي بن يوسف (ت: 646هـ/1248م).
  - إنباه الرواة على أنباه النحاة، الجزء الأول.
  - إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة (القاهرة، 1326هـ).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت: 821هـ/1418م).
  - صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني والثالث والخامس (بيروت، 1987م).
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/957م).
  - مُروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات وزارة الثقافة، الجزء الثالث (دمشق، 1989م).
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت: 1041هـ/1631م).
  - الخطط كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، الجزء الثاني والثالث (القاهرة، 1987م).
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي (ت: 711هـ/1311م).
  - لسان العرب، دار المعارف، الجزء 10، 16 (القاهرة، د.ت).
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت: 385هـ/995م).
  - الفهرست، دار المعارف للطباعة والنشر (بيروت، 1978م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1331م).
  - نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1929م) الجزء السابع والتاسع.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت: 626هـ/1229م).
  - معجم الأدباء، الطبعة الثالثة، دار الطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 18 (1400هـ/1980م).

- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز، أجزاء متعددة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، الجزء 5، 11 (بيروت، 1990م).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 284هـ/897م).

- البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، النجف الأشرف (العراق، 1918م).

- الزهري، محمد بن سعد منيع (ت: 320هـ/845م).

- الطبقات الكبير، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، الجزء 2 (القاهرة، 2001م).

- الزجاج، الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق.

- الأمالي، الطبعة الثانية، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر (القاهرة، 1935م).

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن عباس.

- المقابسات، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، 1347هـ/1929م).

ج- المراجع:

- إبراهيم أيوب.
- التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الطبعة الأولى، دار الكتب العالمية (بيروت، 1989م).
- أحمد أمين.
- ضحى الإسلام، مكتبة الأسرة، الجزء الأول (القاهرة، 1997م).
- أحمد بن محمد بن عبد الله الديبان
- حنين بن إسحاق، المجلد الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض، 1993م).
- أحمد شلبي
- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة العصرية، الجزء الثاني (القاهرة، 1986م)
- أيمن فؤاد سيد.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوط، الدار المصرية اللبنانية، الجزء الأول (د.ت).
- جرجي زيدان.
- تاريخ التمدن الإسلامي، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الهلال، شارع نوبار، الجزء الأول (مصر، 1921م).
- جلال مظهر.
- حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، دار مصر للطباعة (القاهرة، د.ت).
- جواد علي.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثامن، منشورات جامعة بغداد، الجزء 8 (بغداد، 1993م).

- حسن إبراهيم حسن.
  - تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الأول (القاهرة، 1967م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: 1067هـ/1656م).
  - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه الكبيسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1991م).
- رشيد الجميلي.
  - حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، منشورات جامعة قاريونس.
- رضا عمر كحالة.
  - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الجزء الثاني، طبعة فريدة وفيها مستدرك، مؤسسة الرسالة (بيروت، د.م).
- عبد الرحمن بدوي.
  - موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر، بيروت.
- عصام الدين محمد علي.
  - بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة، دار المعارف (الإسكندرية، 1956م).
- محمد علي أبو حمدة.
  - في العبور الحضاري للمكتبة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار البشير (عمان، 1990م).
- ناجي معروف.
  - أصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة (بيروت، 1975م).

- هالة شاكر عبد الرحمن.
  - الورق والورَّاقون في العصر العباسي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (1424هـ/2004م).
- علي بن إبراهيم النملة.
  - الوِرَاقة وأشهر أعلام الورَّاقين، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية (السلسلة الثالثة)، (الرياض، 1415هـ/1995م).
- علي حسين الشطشاط.
  - ثابت بن قرة الحراني الطبيب والمترجم، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1990م).
  - تاريخ الجراحة في الطب العربي من القرن (3-97هـ/9-13م)، المجلد الأول، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الأولى (بنغازي، 1999م).
- يحيى وهيب الجبوري.
  - الخط والكتابة في الحضارة العربية، الطباعة الأولى، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1994م).
- الدوري عبد العزيز.
  - مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، الطبعة الأولى، منشورات دار الطليعة (بيروت، 1978م).
- الزركلي خير الدين (1396هـ/1976م)
  - الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، أجزاء متعددة، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين (بيروت، 1986م).
- رحيم كاظم الهاشمي وزميله.
  - الحضارة العربية الإسلامية، دار صادر (بيروت، د.ت).

- حكمت نجيب عبد الرحمن.
  - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل (الموصل، 1977م).
- حسن الخربوطلي.
  - الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الجانجي (القاهرة، 1994م).
- حمدين محمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي.
  - العقد الفريد، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الجزء الرابع، مكتبة المعارف (الرياض، 1983م).

د- المراجع الأجنبية المترجمة:

- متز، آدم.
  - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي (مكتبة الخانجي (القاهرة، د.ت).

هـ- الدوريات والمجلات:

- حبيب زيات.
  - الورَاقة والورَّاقون في الإسلام، مجلة المشرق، السنة الحادية والأربعون، الجزء الثالث (بيروت، 1947م).
- عبد الستار الحلوجي.
  - المخطوط العربي، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1998م، ط1، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 2002م).

- عصام سليمان الموسمي.
- الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث/الرابع (2011م).
- كوركيس عواد.
- الورق أو الكاغد عند صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجتمع العلمي العربي، دمشق (كانون الثاني 1948م/19 صفر 1367هـ)، الجزء الأول.
- أحمد سعيد عبد الله.
- تاريخ التدوين ومواد الكتابة.
- آفاق الثقافة والتراث، السنة العاشرة، العدد الأربعون، شوال 1423هـ/كانون الثاني 2003م.
- خير الله سعيد.
- رواد سوق الورَّاقين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد السادس والعشرون، تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي (اليمن، 1997م).
- علي جمعان الشكيل.
- صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الواحد والثلاثون، السنة الثامنة، تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي (اليمن، 2000م).

و- دوائر المعارف.

- محمد فريد وجدي.
- دائرة معارف القرن العشرين، طبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

ز- الرسائل العلمية:

- أميمة عبد السلام علي العمامي.

- رسالة ماجستير: نشأة الأمصار في الشرق الإسلامي خلال القرن الأول للهجرة للعام الجامعي (2005-2006م) إشراف أ. د. علي حسين الشطشاط (غير منشورة) نوقشت في جامعة بنغازي بتاريخ (2006/3/11م).

ح- شبكة المعلومات الدولية.

- الموسوعة الحرة https://at-m-wikip-wiki

ABSTRCT

The Islamic civilization has evolved in the ladder of civilization, like other nations, stage after phase, and with the entry of Islam, the Arab man moved to a position of highness and progress in thought and behavior and with the expansion of the Islamic state in the Abbasid era, it took a special approach in the cultural construction of the Islamic nation. Intellectual life in it.

Blogs and books were the means through which knowledge and the nature of the development of the Islamic society. Blogging was necessary for the rulers and administrators to register their correspondence and transactions.

The emergence of paper and its use in the various written purposes of the Islamic nation was one of the most important events affecting human civilization in general, and Islamic civilization in particular, where paper contributed effectively to the dissemination of science and knowledge and literature and its transition between East and West،After it was narrowly spread due to writing materials and the difficulty of carrying and use, as paper is the main material for writing,

One of the important means of transferring ideas, sciences and religious beliefs from one society to another, and any review of the history of paper must begin the writing that preceded the paper industry in thousands of years.

After the expansion of the Arabs in the manufacture and production of paper, it began to be used in various aspects of the administrative, cultural, economic and social life in the Islamic State, where cultural life was active and scientific and literary literature flourished and the art of binding, decoration and gilding flourished،It was natural that this development was accompanied by the emergence of a new social class in the Islamic society, the Al-Warkin class, which played a major role in the revival of scientific life in the Islamic state, especially in the Abbasid times. Knowledge of the arts of backward science, as well as a need for knowledge of science Knowledge and literature of other peoples.

The Islamic civilization is the best of the whole world in the paper industry because it has made fundamental changes in its industry and has become better than it was. The development of paper is a symbol of the Islamic civilization, and it is a miracle worthy of admiration and admiration.

AND THE INFLUENCE OF LSLAMIC CIVILIZATION IN THE ABBASID STATE
(1055 -846 / 447-232هـ م)

RESEARCH SUBMITTED TO OBTAIN THE DEGREE OF SPECIALIZATION (MASTERS) IN ISLAMIC HISTORY

DONE BY :
HADI FARAJ MOHAMED AL QATANI

SUPERIVISION :
DOCTOR / HABIB MOSTAFA EZZ EL DIN

SCHOOL YEAR **2016 – 2017**